المرأة في التراث ما بين

الحكمة والحماقة



د. عمار أحمد خلف



المرأة في التراث ما بين الحكمة والحماقة

من خلال (قصة دبورا وصور المرأة عند شموئيل هناجيد)

د. عمار أحمد خلف

مقدمة:

يعتبر كتاب العهد القديم تراثًا لليهود وما تابعهم من طوائف؛ حيث يمثل هذا التراث في أقسامه الثلاثة (التوراة – الأنبياء – المكتوبات)، فكان بمثابة تأريخ للحركات الدينية والعلاقات الاجتماعية بين أفراد الطائفة اليهودية، وما كان من أحداث بين اليهود وغيرهم من الشعوب، هذا إلى جانب كونه حافظًا للأنساب البشرية عند بني إسرائيل وغيرهم ممن اتبعوهم، وإلى جانب ذلك كان من الطبيعي أن يقدم العهد القديم بين أقسامه نماذج من النساء، تباينت تلك النماذج وتغايرت تبعًا للسلوك والصفات المذكورة بين ثنايا قصصه، وامتدت هذه النماذج النسائية في حياة اليهود حتى العصر الذهبي في الأندلس، خاصة بعد انصهار هذا التراث تحت مظلة الثقافة الإسلامية.

ولا يخفى على أحد دورُ المرأة في مشاركة الرجل صناعة الحدث التاريخي داخل قصص العهد القديم وبين صفحات أسفاره.

فلقد ذكرت كلمة (חוה) = حواء للدلالة على أول امرأة في تاريخ البشرية مرتين، وجاءت كلمة (אישה) = امرأة ٢٤ مرة، وكلمة (רעיה) = زوجة مرة واحدة، ثم كلمة (גברת) بمعنى سيدة تكررت مرتين، ولم يخلُ العهد القديم من أسماءٍ لشخصيات نسائية متعددة.

إلا أنه يبدو أن المرأة لها دور محوري في بعض الأحيان, فنجد في بعض أسفار العهد القديم أنه قد يرد ذِكر المرأة للدلالة على القيادة الروحية؛ لِما اتصفت به تلك المرأة من الحكمة؛ كما في قصة (دبورا في سِفر القضاة) التي تكرر اسمها ٦ مرات؛ حيث تناول السِّفر قصتها مؤكدًا على كونها قائدة لطائفة بني إسرائيل بعد (إهود – شمجر)، فأمسكت بمقاليد الحكم الديني والدنيوي، عندما نصحت القائد العسكري لبني إسرائيل بالحرب على عدوه (سيسرا = الزعيم الكنعاني) كان لها الأثر الأكبر في انتصار بني إسرائيل على عدوهم.

أضف إلى ذلك ما هو مذكور في التراث من مناصرة (أستير) للشعب اليهودي في عصر (إحشويروش)؛ نظرًا لحكمتها في تخليص طائفتها من قيد السبي، والنجاة من التدمير على يد الوزير هامان، كذلك لم يغفل التراث اليهودي عن وجود عنصر أنثوي في كل عصر، ساعد هذا العنصر المجتمعَ اليهودي بشكل أو بآخر في مواقف بعينها؛ فعند الخروج من مصر كان

للمرأة دور مؤثر، وكذلك بعد الخروج من مصر، وما ذُكر من رفض نساء بني إسرائيل لعبادة العجل في سيناء على يد مريم النبية.

وبالرغم مما سبق من أدوار تصف دور المرأة، فإنه لم يخلُ العهد القديم أيضًا من صور تناقض تقدير المرأة؛ فقلَّلت بعض الأسفار من شأنها في معظم الأحيان، بل واتخذها العهد القديم سببًا في العذاب، وكمثال للإقلال، نجد أن كاتب سِفر الأمثال عبَّر وصوَّر الحماقة على أنها امرأة، وكذلك قبْله سِفر التكوين الذي وصفها بكونها سببًا للعذاب منذ بدء الخليقة؛ كما جاء في قصة حواء، فلم يبرِّئها العهد القديم من خطيئة آدم الأولى، التي كانت سببًا في معاناتهما معًا.

ومع معايشة اليهود لغيرهم من الشعوب لم يكن العهد القديم ببعيد عن الثقافات الأخرى؛ فلقد أثر في بعضها، وتأثر بالبعض الآخر، إلا أنه لم يستطع أحد من اليهود أن يخالف التراث التوراتي أو ينقده، إلا في العصر الوسيط تحت الحكم الإسلامي، ذلك العصر الذي كان لزامًا علينا التطلع إلى دور المرأة فيه، خاصة بعد الفتح الإسلامي للبلدان التي انزوى فيها اليهود بعيدًا في منفاهم كما وصفوا قبل دخول الإسلام إليهم، فأمنهم المسلمون على أنفسهم، وفتحت الثقافة الإسلامية ذراعيها لرجالهم ونسائهم على السواء، ولذا اهتم علماء تلك الفترة بالمرأة وبالتوصية بها خيرًا، عملاً بالمبادئ الإسلامية التي أرستها شريعة الإسلام في المجتمعات التي وفدت إليها، والتي غيرت من ثقافة اليهود تجاه المرأة، مما جعل علماءهم يأمرون مجتمعاتهم بالتواصي خيرًا بالمرأة، على عكس ما كان معروفًا في كتبهم، ومن ذلك قول موسى بن ميمون: (إن عزتكم من احترامكم لزوجاتكم).

و لم يكن غريبًا أن تتناول أقلام الشعراء في الأندلس صورة المرأة؛ فلقد قام الناجيد بتقديم صورة للمرأة في كتاباته، صوَّرت المرأة من وجهة نظر اليهود في الأندلس، التي تأرجحت ما بين التبجيل قليلاً، والإقلال كثيرًا، فلقد تأثر الناجيد بحكمة المرأة في الإسلام فأجَلَّها، ثم عاد إلى تراثه اليهودي من العهد القديم فأقلَّ من شأنها.

ونرى أن التراث اليهودي قد أثر في التراث الإنساني سلبًا، ونستطيع القول بأنه ربما يكون قد أثر في الشعوب والمجتمعات المختلفة، فكان له التأثير السيئ في الفكر الإنساني، ولا عجب أن انتقلت فكرة خطيئة حواء من العهد القديم إلى تراث معظم الثقافات في العالم، حتى داخل التراث الإسلامي للمدن التي اعتنقت الإسلام، فتأثر هذا التراث الإسلامي بالمدسوس من القول،

إلا أن المتقلب بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يجد مناصرة للمرأة دون إفراط ولا تفريط في حقوقها الاجتماعية.

منهج البحث والهدف المرجو:

سيتبع الباحث المنهج الوصفي؛ حيث يقدم هذا البحث دراسة وصفية للنصوص والكتابات المقرائية[1]، واتخاذ قصة دبورا نموذجًا، إلى جانب الكتابات اليهودية في الأندلس تحت حكم الإسلام، متخذًا بعضًا من إنتاج الناجيد كوصف لليهود بعد الإسلام.... وما أهدف إليه من دراستي هو تقديم رؤى مختلفة ما بين الارتقاء بالمرأة في العهد القديم متمثلاً في قصة (دبورا)، مع إبراز التدنِّي بها أيضًا في بعض أسفار العهد القديم، الذي يصل إلى درجة الظلم والتعنت في قصص توراتية مختلفة، ومن ثم كان من الواجب تقديم الرؤية الأدبية للناجيد تجاه المرأة، تلك الرؤية التي تأثرت بالثقافة الإسلامية تارة، ومالت إلى التعنت الموروث عند اليهود تارة أخرى.

المرأة ما بين الحكمة والحماقة:

لقد بدأ العهد القديم تعريفه بالعنصر النسائي الأول المتمثل في حواء، فبين السبب الأول لخلق حواء بكونه مؤانسة آدم، حتى لا يكون آدم وحيدًا في الحياة: (وقال الرب الإله: ليس جيدًا أن يكون آدم وحده، فأصنع له معينًا نظيره ---تك: ٢/١٨)، وتم اقتطاعها من جسد آدم، فسُميت لذلك امرأة.

ويروي العهد القديم عن سبب التسمية: (فقال آدم: هذه الآن عَظْم من عظامي، ولحم من لحمي، هذه تدعى امرأة[2]؛ لأنها من امرئٍ أُخذت ---تك ٢/٢٣)، وكما سماها آدم امرأة

[1] المقصود بكلمة مقرائية نسبة إلى المقرا؛ أي: نصوص العهد القديم الذي يضم التوراة والأنبياء والمكتوبات.

[2] – كلمة امرأة: قيل: إنها ذُكرت على لسان آدم عندما خلقها الله من ضلعه القصري من شقه الأيسر ليسكن إليها، ويأنس بها، ولما قيل له: لِم سميتها امرأة؟ قال: لأنها من المرء أخذت.

(للمزيد يرجى مراجعة: أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري – الجامع لأحكام القرآن الكريم – دار الريان للتراث – طبعة خاصة بتصريح من دار الشعب – ج١ – ص٢٥٧.

للدلالة على الجنس، رجع مرة أخرى فسماها حواء[3]: (ودعا آدم اسم امرأته حواء؛ لأنها أمُّ كل حي ---تك ٣/٢٠).

ومع تعاقب الأجيال البشرية ظهرت قصص لمجموعة كبيرة من النساء، جاء ذكرهن بين ثنايا مرويات العهد القديم، فكان لبعضهن أدوار محورية في أحداث بعينها، كان لها من التأثير القوي في حياة بني إسرائيل واليهود من بعدهم، هذا التأثير كان بعيدًا عن وصفهن نساء، بل تعدَّين تلك الحالة إلى درجة أعلى؛ فلقد وصفهم العهد القديم بالحكمة، بل والنبوة في بعض الأحيان، فأصبح هناك نساء حكيمات داخل أسفار العهد القديم.

أولاً: صورة حكمة المرأة في العهد القديم:

الحقيقة أن الحكمة[4] هي الصفة الأصيلة للأنبياء والمرسلين، فكان من الطبيعي أن تتصف النبيئات[5] من نساء بني إسرائيل بالحكمة، ومن أولئك (مريم النبية)[6]، التي هي أخت لموسى

---

[3] كلمة حواء: قيل: إنها ذكرت على لسان آدم لما سئل عن اسمها، ولما سُئل: لِم سميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من حي.

(للمزيد يرجى مراجعة: أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري – الجامع لأحكام القرآن الكريم ج١ – ص٢٥٧.

وقيل في معجم اللغة: إن كلمة حواء للدلالة على المرأة المشوبة بالسواد.

للمزيد من الإيضاح اللغوي يرجى مراجعة: الفيروز آبادي – القاموس المحيط – دار الفكر – بيروت – ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م – ج٤ – ص٣٢١.

[4] الأصل اللغوي لكلمة حكمة هو الفعل المجرد حَكَمَ، وقد اشتملت الكلمة العربية على أكثر من معنى، أولها: المنع: حَكَمَ: أي مَنَعَ، ويأتي منه الحَكَمَة – وهو ما يحاط بحَنَك الفرس – إلا أن هذا المعنى قد تطور ليشمل السيطرة بجانب المنع، كما قيل في: "حكم فلانًا"؛ أي: منعه ورده عما يريده.

إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، جـ١، ص١٨٩.

وللمزيد من التعريفات اللغوية التي تتفق في المعنى يرجى الرجوع إلى:

أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون وآخرين، ط ٢، مطبعة: مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٧٠.

[5] لقد ذكرت نبيئات جمع نبيئة ولم أذكر نبيات؛ وذلك إرجاعًا للكلمة في اللغة العبرية (**נביאה**) من المذكر (**נביא**) = نبيء.

[6] – فيرى البعض أن مريم النبية لم تكن الوحيدة وسط آلاف النساء اللاتي خرجن لمساعدة شعبنا.

للمزيد يرجى مراجعة: שוין הנשים מנוקדת ההלכה - מאת הרב יעקב לוינסון - דפוס אמנות - ניו יורק - שנת תר"ף - עמ"ס.

وهارون عليهما السلام، والتي كان لها دور مع نساء اليهود اللاتي اتبعنها، كما روى العهد القديم: "فأخذت مريم النبية أختُ هارون الدفَّ بيدها، وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص؛ (الخروج ١٥: ٢٠)، فكان لتلك النبية دور في قيادة نصف الشعب المتمثل في النساء، وذلك مشاركة منها مع موسى وهارون بصفتها نبية؛ حيث كانت (وظيفة الأنبياء هي إرشاد الشعب إلى طريق الرب... ولكي تصل النساء إلى النبوة يرى البعض أنه يجب أن يعبُرن الطريق الروحاني الصالح لذلك[٧]، وربما كانت هذه الدرجة مثار جدل بين المفكرين.

وربما كانت درجات النبوة تتفاوت بين النساء في روايات العهد القديم، من حيث السرد والإطالة؛ حيث لم تذكر مصادر العهد القديم أحداثًا أخرى لمريم النبية، واكتفى بدورها السابق، مع أن العهد القديم تناول قصة نبية أخرى بشيء من الإطالة والتعظيم؛ كما حدث مع النبية دبورا التي هي موضوع بحثنا؛ حيث أفرد العهد القديم لتلك النبية نصيبًا غير قليل في سِفر القضاة إذا ما تم مقارنته بغيرها من النساء اللاتي لا يخفى تأثيرهن على مجريات الأحداث بما قدَّمن من حيل هيِّئت بها الأحوال، كما وصف العهد القديم، إلى جانب مناصرة بعض رجال العهد القديم، كما حدث في قصة مساعدة أم يعقوب ليعقوب في التحايل على أخذ البركة من أبيه إسحاق، كما وصف العهد القديم، وكان غير مستحق لهذه البركة دون أخيه عيسو الذي كان مستحقًّا لها بكونه بِكر أبيه، والوصي على إعالته، إلى جانب العديد من القصص التي رواها العهد القديم، والتي تناولتها الأقلام لتوضح فيها فضل النساء على الرجال، فكان جليًّا أنه بدون "سارة العجوز لم يكن ليتحول إبراهيم إلى "إبراهيم أبانا"، وبدون راحيل الجميلة لم يكن ليصبح يعقوب أبانا، وياشو لم يكن متجسدًا لحمًا ودمًا بدون مريم"[٨]، إلا أن مفهوم الحكمة عند النساء في العهد القديم تخلله عيب الإغواء والتحايل، وهذا يُعد هدمًا للحكمة التي تم الاتفاق على مفهومها الصحيح، فكان لا بد من التفريق بين الحكمة والإغواء.

<u>هل المرأة في نظر العهد القديم إغواء أم حماقة أم حكمة؟</u>

---

[٧] – ספר שופטים עם רש" ועם פירוש דעת סופרים - מאת הרב חיים דב רבינוביץ - בהוצאת ספרייתי תל אביב - ירושלים תש"ט - עמ"71.

[٨] קתרין קלמון - המסע של תיאו אודסאה בין דתות ואמנות - לוחות והדפסה במפעלי זמורה - ביתן - תל אביב 2000 - עמ "184.185.

ومع أن العهد القديم كان يحقر من شأن المرأة، وخاصة في سِفر الجامعة في قوله: "وجهت قلبي لأتعلم وأبحث لعلِّي أجد الحكمة وحقيقة الأمور، وأعرف نفاق الجهلة وجنون الحمقى، فوجدت أن المرأة أمرُّ من الموت؛ فقلبُها مصيدة وأحبولة، ويداها أغلالٌ، مَن كان صالحًا أمام الله ينجو منها، أما الخاطئ فهي تقتنصه"٩ – فإنه قدم أنموذجًا للمرأة التي ساعدت بإغوائها، فلم تجد طائفة بني إسرائيل مفرًّا من استخدام المرأة للإغواء، على الرغم من أن نصوص العهد القديم نفَّرت من المرأة التي قلبها مصيدة وأحبولة، كما سبق ذكره، فقدم العهد القديم هذا الأنموذج متجسدًا في قصة أستير محررة اليهود من نير السبي.

لقد عرف الشعب اليهودي مرارة الأسر على يد نبوخذ نصر، ذلك الملك البابلي الذي ساق اليهود إلى بابل، واستمر اليهود في المقام هناك حتى جاء العصر الفارسي، الذي استغل اليهودُ فيه دور المرأة في إطلاق سراحهم وعودهم إلى أرض فلسطين، بعد ردح من السبي والذل والتعنت تحت رق العبودية، الذي أظهرته المصادر اليهودية في كتاباها التأريخية لتلك الفترة، حتى لاح الأمل في أستير، تلك المرأة الفاتنة التي يرجع الفضل إليها في قرار العودة إلى أرض فلسطين، فتروي التوراة قصة أستير، تلك الفتاة (التي أحبها أحشويرش أكثر من كل العذارى اللاتي سبقنها،... حيث قذفت محبة روحية وجسدية إلى قلبه...، وفي كل يوم يتجدد الحب)١٠، فقام اليهود باستغلال هذه العلاقة في تنفيذ رغبة رجال الدين اليهودي، الذين نجحوا في جعل أستير تتزوج من ملك يعبد الأوثان، وبعدها تنجح في إقناعه بالسماح لليهود بالعودة إلى أرض فلسطين١١.

واستمرارًا للحديث عن المرأة في العهد القديم، والكتابات الدينية١٢ الأخرى، نراه يقدم لنا امرأة أخرى في سفر يهوديت١٣، هذه المرأة التي أقدمت على الإغواء والقتل١٤ حتى تنقذ

---

[٩] קתרין קלמון - המסע של תיאו אודסאה בין דתות ואמנות - עמ 184.185.

[١٠] נתנאל חיים פאפע - ספר מגלת אסתיר עם באור. דבר ישועה - נדפס בירושלים - בשנת תרנ"ב - עמ"56 - 57.

[١١] נתנאל חיים פאפע - ספר מגלת אסתיר עם באור. דבר ישועה - עמ"56 - 57.

[١٢] الأسفار الخارجة عند جمهور اليهود: (الأبوكريفا) تلك الكتابات التي لا يعترف بها جمهور اليهود، مثل: سفر يهوديت، سفر ابن سيرا، وأخرى جمعت بينها مفاهيم مختلفة، لم تحظَ بقدسية في اليهودية.

للمزيد يرجى مراجعة: משה גרסיאל - ראשית המלוכה בישראל - האוניברסיטה הפתוחה - תל אביב - ٢٠٠٨ – מהדורה שנייה - כרך ١ – עמ" ٢٠.

[١٣] كان من الطبيعي أن يتعلق هولوفرانس بيهوديت الجميلة الغاوية؛ فلقد فتنته بلباسها المغري، وكلماتها الكاذبة.

طائفتها من الهلاك دون الدخول في حرب حقيقية؛ كما جاء في السفر الذي صنف ضمن الأسفار الخارجة١٥، كما حدث في قصص أخرى نسائية عُرفت عند اليهود١٦.

وفي بعض الأحيان نجد الكتابات المقرائية تؤكد على تأييد بعض النساء، ونبذ الأخريات في كثير من الأحايين؛ فلقد اعتبرت المرأة من المقدسات عندما أصبحت نبية وقاضية، في حين أن بعض فقرات العهد القديم تعتبر المرأة نجسًا يجب اجتنابه: (وكل ما تضطجع عليه في طمثها يكون نجسًا، وكل ما تجلس عليه يكون نجسًا - (لاويين ١٥:٢٠)، بل وتزيد فقرات أخرى، فيعتبرونها بؤرة الخداع والغش، ومن أسباب الإغواء والهلاك؛ كما جاء في سِفر الأمثال: (فلم تفتن يا بني بأجنبية وتحتضن غريبة - (٥:٢٠).

ثم يقدم سفر الأمثال صورة المرأة الحمقاء، التي جمعت بين الجهل والصخب والحمق فيقول: "المرأة الجاهلة صخابة حمقاء، ولا تدري شيئًا"؛ الأمثال - (٩:١٣)، ويزيد سفر الأمثال على ذلك، فجعل من المرأة الغريبة غاوية تفضي للموت المحقق، فيقول: "لأن شفتي المرأة الأجنبية تقطران عسلاً، وحنَكها أنعمُ من الزيت، لكن عاقبتها مُرة كالأفسنتين، حادَّة كسيف ذي حدين"؛ سفر الأمثال، الإصحاح ٥، فقرتي٣، ٤).

ومع هذا التضارب بين التقدير والامتهان للمرأة في العهد القديم، تبرز قاعدة هامة، وهي أن المرأة تتحدد أهميتها من عدمها في العهد القديم تبعًا لموقعها وتأثيرها المباشر من وجهة نظر

للمزيد يرجى مراجعة: יוסף גיגר ואחרים - קובץ מאמרים ליובילו של ישראל שצמן - האוניברסיטה הפתוחה - תל אביב - עמ" ٢٧ - ٣٠.

[١٤] يرى البعض أن اليهود امتهنوا السيطرة على الأشخاص باستعمال الجنس والرشوة، مستدلين على ذلك بقصتي: أستير يهوديت.

للمزيد يرجى مراجعة: سيد بن حسين العفاني - شذا الرياحين من سيرة واستشهاد الشيخ أحمد ياسين - مكتبة الوفاق غزة - ٢٠٠٤ - ج٢ ص ٧٠.

[١٥] جمعت المقرا بتضمين ٢٤ سفرًا حددت ككتابات مقدسة لليهودية في مقابل كتب خارجية.

للمزيد يرجى مراجعة: משה גרסיאל - ראשית המלוכה בישראל - האוניברסיטה הפתוחה - כרך ١ - עמ" ٢٠.

[١٦] ومن الغريب أن الأسفار الخارجة اعتُمدت ككتب مقدَّسة عند النصارى؛ حيث تؤكد بعض المصادر أنها كُتبت في الفترة ما بين كتابة العهد القديم والعهد الجديد.

للمزيد يرجى مراجعة: חגי ארלין ואחרים - אתיופיה נצרות אסלאם יהדות - האוניברסיטה הפתוחה - תל אביב ٢٠٠٣ - עמ" ٨٢.



كاتب السِّفر؛ فلقد قدم العهد القديم المرأة دلالة على الغواية والحماقة عند تعريفه بالأجنبية؛ كما جاء في سفر الأمثال، ومع ذلك نرى المرأة في موضع آخر صار لها من القدسية ما لم يتوفر للرجال ممن عاصروها، وأثرت هي فيهم بشكل كبير، فتسيَّدت عليهم، وأصبحت قاضية حكيمة نبية.

قصة (دبورا)[17] في سفر القضاة:

يعتبر سفر القضاة هو أحد أسفار العهد القديم الذي يندرج تحت قسم الأنبياء، وقد (سمي السفر بالقضاة؛ لأنه يهتم في مجمله بأعمال القضاة الذين كان لهم دور في خلاص إسرائيل عبر الأجيال بعد احتلال الأرض، وقبل تأسيس المملكة في إسرائيل)[18]، ويرى البعض أنه عبارة عن ذِكر أخبار الأبطال أو القضاة الذين خلصوا بني إسرائيل، وهم خمسة عشر قاضيًا...، وهذا السِّفر كغيره من الأسفار التي لا يعرف كاتبها[19].

وتعتبر التسمية (**שופטים**) – القضاة – دلالة على أشخاص تميزوا بالحكمة[20]، ومعرفة التشريع، حتى يتمكنوا من القضاء بين المتنازعين، إلى جانب التشريع الذي يسيِّر الحياة

---

[17] ويرى البعض أن دبورا امرأةٌ غير عادية، صاحبة قوة خاصة وشخصية نافذة، ليس في سِبطها فقط، وإنما في الشعب كله؛ فهي قائدة المعركة.

للمزيد يرجى مراجعة: **זאב ויסמן - מבוא למקרא - ספרות התורה יחיט - כרך ג" - האוניברסיטה הפתוחה - ישראל - עמ"** ١٩٩.

[18] **מ. צ. סגל - מבוא המקרא - ספר ראשון - הוצאת קרית ספר בע"מ ירושלים.הדפסה תשיעית - - עמ"162.**

[19] محمد علي – الأقوال الجلية في بطلان كتب اليهودية والنصرانية – مطبعة المنار بمصر – الطبعة الأولى – بدون تاريخ – ص ٥٩.

[20] الجدير بالذكر أن العبرية لم تكتفِ باللفظ **חכמה** للدلالة على معنى الحكمة، بل أوردت مترادفات أخرى تعطي معنى الحكمة، وهي على النحو التالي: "**צְלִילוּת** فطنة، **דַעַת** معرفة، **תְּבוּנָה** فهم، **פִּקְחוּת** إدراك، **תוּשִׁיָּה** حصافة، **הִגָּיוֹן** رشد".

אברהם שרוני: המלון המקיף, הוצאת משרד הביטחון، מפעלי דפוס פלאי בע"מ גבעתיים 1987, כרך 2، עמ'507.



الاجتماعية لبني إسرائيل بشكل عام، ويعدل من منهجهم الديني المعيب، الذي انعكس على الحياة الاجتماعية، التي كانت تميل إلى الجور والظلم، ومن ثم الكفر وعبادة الأوثان.

ويعبر السفر في بدايته عن العقاب الذي سلط على بني إسرائيل، ومجازاتهم بالهزيمة المتكررة، وأن تبعية عدم وجود قاض يذكرهم بدينهم هي الكفر, ومن ثم الهزيمة المحققة، وعلى ذلك فإن الدلالة الدينية للسفر تؤكد على أهمية القضاة في مجتمع بني إسرائيل.

لا شك أن الدلالة الدينية التي تتجلى في تسمية السفر بالقضاة تتضح فيما ذكرته بعض المصادر من أن: (المعنى الأساسي للفظ قاض هذا الذي يقدم تشريعًا، فيفصل بين المرء ونظيره في التراعات، إلى جانب كون القاضي قد يكون حاكمًا، وربما يجب على الملك أن يكون قاضيًا، على سبيل المثال: داود – سليمان)٢١، ومن ثم فلقد انفرد سفر القضاة بقصة دبورا بصفتها القاضية التي أعقبت القاضي أهود بن جيرا البنياميني في القضاء بين أفراد بني إسرائيل، وقيادتهم بعد تركهم الإيمان بربهم، ولكن الفارق بين أهود ودبورا يكمن في قتل أهود لملك مؤاب، أما دبورا فقد ساعدت في قيادة الجيش، و لم تقُمْ بقتل سيسرا بنفسها، وهذا يعني التأثير المباشر لأهود في قتل عدو بني إسرائيل، والتأثير غير المباشر لدبورا في مساعدة باراق في قيادة بني إسرائيل، والقضاء على عدو بني إسرائيل أيضًا.

وإذا ما أمعنا النظر في كل هذه المترادفات لوجدناها دلالات واضحة على معنى الحكمة، وعلى الرغم من الاتفـــاق بين العربية والعبرية في اللفظ حَكَمَ חָכַם، فإن اللغة العبرية لم تستخدم اللفظ لتفيد المنع أو القضاء، بل لتفيد "الفهم والتعقل، تفهم، تعقل، صار حكيمًا".

אברהם אבן שושן: המילון העברי המרכז، עמ' 216.

ولقد عرَّفتها المعاجم العبرية؛ حيث قالت: إنها – أي الحكمة חָכְמָה – بمعنى: "عقل – فهم – علِم – دهاء – شطارة".

للمزيد يرجى مراجعة: – דוד שגיב: מלון עברי - ערבי לשפה העברית בת - זמננו، הוצאת שוקן ירושלים، 1990 - כרך ראשון،עמ'557.

٢١ מ. צ. סגל - מבוא המקרא - ספר ראשון - עמ"162.

ويرى البعض واصفًا القضاة في العهد القديم، بأن هذه التسمية قاصرة في سفر القضاة: "على دبورا النبية، وربما شموئيل الرائي، فهمُ حقيقة من عملوا فعلاً بالقضاء"[٢٢]، وربما باقي قضاة بني إسرائيل كان لهم دور آخر، وعلى ذلك فدبورا هي القاضية التي اعترفت بها المصادر اليهودية.

دبورا القاضية[٢٣]:

بدأ الحديث عن (دبورا) في الإصحاح الرابع من سفر القضاة، مبينًا أن دبورا النبية كانت تحكم بين المتنازعين من جمهور اليهود، دون ذكر للنسب المباشر لتلك القاضية أو الأعمال التي أهَّلت تلك المرأة للمكانة التي وصلت لها، هذه المكانة التي عبر عنها سِفر القضاة بوصفها قائدة روحية في نهاية معركة بني إسرائيل، أما في بداية السفر لم يبين سوى أنها كانت خلفًا لأهود، وقام بوصفها دبورا القاضية النبية، التي تحكم بين المتنازعين من اليهود، ويلجأ عامة الناس لها، وفي ذلك يقول كاتب سفر القضاة (٤: ٥): "وهي جالسة تحت نخلة دبورا بين الرامه وبيت ايل في جبل إفرايم، وكان بنو إسرائيل يصعدون إليها للقضاء"[٢٤]؛ حيث كانت وظيفة الأنبياء في الأساس إرشاد الشعب إلى طريق الرب[٢٥]؛ أي: إنها نبية، وأساس وظيفتها: إصلاح المنهج التعبدي المعوج.

دبورا النبيئة[٢٦]:

---

[٢٢] החכם שמואל לאנייאדו - כלי יקר. פירוש נביאים ראשונים - יוצא לאור ע"י עזרא בצרי שליט"א - אב"ד ירושלים ת"ו - עמ" 119.

[٢٣] دبوره النبية التي عرفت بأنها كانت تقوم بالقضاء بجلوسها تحت نخلة.

للمزيد يرجى مراجعة: נדב שרגאי - הר המריבה המאבק על הר הבית - הוצאה לאור כתר בע"מ - ירושלים - ١٩٩٥ - עמ"٢٨٣.

[٢٤] سفر القضاة، الإصحاح الرابع، الفقرة الخامسة.

[٢٥] – ספר שופטים עם רש" ועם פירוש דעת סופרים - מאת הרב חיים דב רבינוביץ - עמ"71.

[٢٦] لقد ذهب بعض العلماء أمثال أبي الحسن الأشعري والقرطبي وابن حزم إلى أن الله أنعم على بعض النساء بالنبوة...، والذين يقولون بنبوة النساء متفقون على نبوة مريم، ومنهم من ينسب النبوة إلى غيرها ويعدونها من النساء النبيات: (حواء – سارة – أم موسى – هاجر – آسية).

لقد وصفت دبورا بالاختلاء بعيدًا عن جمهور اليهود باعتلائها جبل إفرايم تحت النخلة التي عرفت بها بعد ذلك، وربما هذا قد يعطي انطباعًا أنها سلكت مسلك الأنبياء، فيصفها العهد القديم بقوله: (وهي جالسة تحت نخلة دبورة بين الرامة وبيت إيل في جبل أفرايم – قضاة ٤:٤, ٥)، وإلى جانب هذا التقديس لتلك المرأة فقد جعلوا مقر حكمها جبل أفرايم٢٧ تحت نخلة سميت باسمها، هذا المكان الذي كانت تختلي فيه بعيدًا عن العامة، ويختلف إليها كل قاصٍ ودانٍ، مما جعل كثيرًا من الكتاب المقوباليم يتأثرون بالمنهج الديني لدبورا٢٨، هذا المنهج الذي أتاح لها النبوة من وجهة نظر العهد القديم٢٩؛ فلقد وصف سفر القضاة انحدار بني إسرائيل وبُعدهم عن المنهج الإيماني (٤: ١) "(١١:٢)" وفعل بنو إسرائيل الشَّرَّ في عينَيِ الرَّبِّ، وعبَدوا البَعْلِيمَ"، وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب بعد موت أهود"، فكانت النتيجة المحتومة لبني إسرائيل العذاب المسلط عليهم بسطوة أعدائهم عليهم، وتم تصوير هذا التسلط في العهد القديم بعبارة البيع، فلقد قيل: (٤: ٢) "فباعهم الربُّ بيد يابين ملك كنعان الذي ملك في حاصور، ورئيس جيشه سيسرا، وهو ساكن في حروشة الأمم".

فاستشعر بنو إسرائيل ضعفهم، فضجِروا إلى ربهم طلبًا للعون وهم معترفون أنهم عصاة، فأرسل عليهم مَن يوجههم ويجمعهم أمام عدوهم (٤: ٣) "فصرخ بنو إسرائيل إلى الرب؛ لأنه كان له تسعمائة مركبة من حديد، وهو ضايق بني إسرائيل بشدة عشرين سنة"، ومع هذا يرى بعضهم أنه "لا شك في أن أمر دبورا وخلده النبيئة من الحوادث الاستثنائية"٣٠.

دبورا قائدة لبني إسرائيل:

للمزيد يرجى مراجعة: د. عمر سليمان الأشقر – الرسل والرسالات – دار النفائس – الكويت ط٤ – ١٩٨٩ ص ٨٦.

[٢٧] און זית - העם הישראלי - הוצאת ראם - ישראל - 1991 - עמ 39.

[٢٨] יוסף דו - הלב והמעיין - מבחר חוויות מיסטיות חזיוניות וחלומות מן העת העתיקה עד ימינו - אוניברסיטת בן גוריון בנגב - מפעלי דפוס כתר - ירושלים 2005 - עמ" 199.

[٢٩] لقد ذكر العهد القديم أربعَ نساء نبيئات، كالآتي: مريم في سفر الخروج ١٥: ٢٠,٢١ – دبورا سفر القضاة ٤: ٤,٥ – حولداه سفر الملوك ٢:١٣,٢٢ – نوعديا سفر نحميا ٦:١٤.

[٣٠] جان آمل ريك – مركز المرأة في قانون حمورابي وفي القانون الموسوي – تعريب الأستاذ سليم العقاد – المطبعة المصرية، إلياس أنطون إلياس – مصر – ١٩٢٦ – ص ٤٣.

جاء وصف دبورا بالمخلصة للشعب اليهودي من الهزيمة التي مُنِي بها اليهود من قبل، عندما عرفت بأنها تهزم القادة الذين قاموا أمامها٣١، وبالرغم من "أن مصطلح قاض قد يختلف في المدلول للثقافة الإسرائيلية القديمة عن مدلوله في الأيام الحالية، فكلمة قاض في الوقت الحالي لا تعني: قائد، إلا أن المعنى القديم يعني القيادة، وعلى ذلك يمكن أن نطلق على عصر القضاة مصطلح عصر القادة.... وبالرغم من كون دبورا وصموئيل الرائي من القضاة فإنهما يعتبران من قادة الأسباط"٣٢، وذلك بما قدماه من حافز للأسباط، ولكن الدور الذي قدمته دبورا للأسباط برز في سفر القضاة، حتى ظن البعض أن "قصة النساء والجيش في الشعب اليهودي طويلة ومترابطة"٣٣، ومثَّل البعض على ذلك بقصص "دبورا زوجة ليفدوت حكمت أسباط إسرائيل، وحملتهم للحرب ضد يابين ملك كنعان، ياعل قتلت سيسرا بقوتها وخداعها، أستير وقصتها في إسقاط هامان السيئ عدو الشعب"٣٤.

دبورا زوجة ليفدوت:

غلب على دبورا اسم: زوجة ليفدوت، فلقد لقبت باسم زوجها، وليس اسم عائلتها، وهذا يعني أن دبورا كان لها دور كزوجة مع دورها كقاضية ونبية في بني إسرائيل، ولم تكن زعامتها الروحية قد قللت من واجباتها كزوجة لرجل عادي رفعَتْه إلى مصافِّ الساسة والقادة، ولم يكن دورها كزوجة إقلالاً من شأنها، إلا أن سفر القضاة لم يصِف ذلك صراحة بين إصحاحاته، التي صبت اهتمامها في حرب بني إسرائيل والكنعانيين، ولكن العهد القديم أكد على وظيفة الزوجة حين عرف دبورا، وبالرغم من أن الحديث عن حياة دبورا الشخصية في سفر القضاة لم يكن بشكل من التفصيل، فإن صورة الزوجة في بداية السفر واضحة المعالم، إلى جانب صورة القاضية والنبية والزعيمة الروحية لبني إسرائيل، فلقد قيل: قضاة (٤: ٤): "ودبورا امرأة نبية زوجة لفيدوت هي قاضية إسرائيل في ذلك الوقت".

---

[٣١] יוסף שכטר - אוצר התלמוד מהדורה שלישית מורחבת - דביר הוצאת לאור - בע"מ - נדפס בישראל - 2001 - עמ"165.

[٣٢] און זית - העם השראלי התרבות האבודה - הוצאה ראם - ישראל - 2011 - עמ"39.

[٣٣] ציפי גון גרוס - הורים מתגייסים - כתר הוצאה לאור - 2003 - עמ" 91.

[٣٤] ציפי גון גרוס - הורים מתגייסים - כתר הוצאה לאור - 2003 - עמ" 91.



وهذا يعني أن حكمة دبورا تتجلى أولاً في الدور الأساسي للمرأة في الحياة، وحكمتها التي تميزت بها ارتبطت بمساعدة زوجها.

مساعدة دبورا لزوجها:

لقد وصف بعض المفسرين دبورا بقوله: (لقد عملت دبورا لزوجها ذوائب – ضفائر – فكان سببًا في إعطائه ضياءً في وجهه، وسببًا لدخوله إلى المكان المقدس وسط ذوي الأهلية الدينية، ويضيف الكاتب بقوله: إن سبب تسمية زوج دبورا ברק – برق – أنه كان ذا ضياء، وتسميته מיכאל – ميكائيل – نسبة إلى الملاك، وتسميته ליפדות – ليفدوت – بسبب عمل دبورا له ذوائب في شعره[٣٥]، ثم يقدم البعض السبب الرئيس في تولي "باراق" قيادة الجيش بكونه: "لم يكن يقوى للخروج إلى الحرب ضد الكنعانيين؛ لذلك حثته دبورا الإسرائيلية التي تسكن جبل أفرايم، تلك المرأة الموصوفة في القصة بقاضية إسرائيل... فلقد اختارت باراق لتنصيبه، وهيأت له ذلك"[٣٦]، حيث ورد في سفر القضاة ذلك فقيل:

٤ودبورا امرأة نبية زوجة لفيدوت، هي قاضية إسرائيل في ذلك الوقت. ٥وهي جالسة تحت نخلة دبورا بين الرامة وبيت إيل في جبل أفرايم. وكان بنو إسرائيل يصعدون إليها للقضاء. ٦فأرسلت ودعت باراق بن أبينوعم من قادش نفتالي، وقالت له: "ألم يأمر الرب إله إسرائيل: اذهب وازحف إلى جبل تابور، وخذ معك عشرة آلاف رجل من بني نفتالي ومن بني زبولون، ٧فأجذب إليك إلى نهر قيشون سيسرا رئيس جيش يابين بمركباته وجمهوره وأدفعه ليدك؟"، ٨فقال لها باراق: "إن ذهبت معي أذهب، وإن لم تذهبي معي فلا أذهب". ٩فقالت: "إني أذهب معك، غير أنه لا يكون لك فخر في الطريق التي أنت سائر فيها. لأن الرب يبيع سيسرا بيد امرأة"، فقامت دبورا وذهبت مع باراق إلى قادش.

ومما سبق يتضح أن مساندة دبورا لزوجها، ثم توحيدها بني إسرائيل تحت قيادة واحدة، اتبعه ملازمة دبورا لزوجها في شحذ الهمم لبني إسرائيل، حتى استتب الأمر لبني إسرائيل وانتصروا

[٣٥] – נתנאל חיים פאפע - ספר מגלת אסתיר עם באור. דבר ישועה - נדפס בירושלים - בשנת תרנ"ב - עמ"56 - 57.

[٣٦] און זית - העם השראלי התרבות האבודה - עמ" 233.

على عدوهم، وقتل سيسرا على يد امرأة هي ياعل، ولكن في هذه المرة يبرز دور الحيلة والإغواء في قتل سيسرا.

ويبدو أن قصة دبورا كانت ضمن الأدلة التوراتية لكفر بني إسرائيل المتكرر، قبل دبورا وبعد وفاتها، تلك الأدلة التي أتى بها ابن حزم في كتابه: الفصل في الملل والنحل، فعندما تحدث ابن حزم عن دبورا واصفًا حالها مع بني إسرائيل قال: "ثم دبرت أمرهم دبور النبية من سبط يهوذا، وكان زوجها رجلاً يسمى الدوت، من سبط أفرايم، إلى أن ماتت وهم على الإيمان، فكان مدةَ تدبيرها لهم أربعون سنة... فلما ماتت كفر بنو إسرائيل كلهم، وارتدُّوا وعبدوا الأوثان جهارًا، فملكهم عوزيب وزاب ملك بني مدين سبع سنين على الكفر"٣٧.

ومما سبق تتضح صور النساء في العهد القديم إقلالاً لأغلبهن بشكل عام، وتبجيلاً لبعضهن بشكل خاص، متمثلاً في قصة دبورا؛ إذ إنها تعتبر صورة فريدة إذا ما قورنت بصورة المرأة في العهد القديم، وبين وصاياه، كما أشار البعض بقوله: "إن النساء في بني إسرائيل لم يكنَّ معتبرات ذوات كفاءة لتولي الأحكام، حتى إن إشعيا كان يعتبر سلطة النساء سبَّة لشعب يحترم نفسه"٣٨.

وإن كان هذا هو الوضع في الثقافة اليهودية، فهل تغيرت صورة المرأة بشكل أو بآخر في العصر الوسيط تحت الحكم الإسلامي؟... وما هي صورة المرأة عند الشاعر اليهودي (شموئيل هاناجيد) في ظل الثقافة الإسلامية؟... وهل تأثر الناجيد بالثقافة الإسلامية وترك موروثه اليهودي؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، كان لا بد أن نوضح حالةَ المرأة في المجتمع العربي الإسلامي، خاصة قبل أن نتعرض لحالة اليهود في العصر الأندلسي؛ فلقد نعِم اليهود بسماحة ورحابة في العيش لم يعهدوا مثلها من قبل؛ فلقد وجد اليهود في الإسلام ما لم يجدوه في حكم غير المسلمين من المتنصرين٣٩، فقامت ثقافة يهودية متأثرة بالإسلام والعرب من المسلمين، غيَّرت

---

[٣٧] عبدالوهاب عبدالسلام طويلة – توراة اليهود والإمام ابن حزم الأندلسي – دار القلم – دمشق – بدون تاريخ – ص ٨٩.

[٣٨] جان آمل ريك – مركز المرأة في قانون حمورابي وفي القانون الموسوي – تعريب الأستاذ سليم العقاد – ص ٤٦.

[٣٩] يحدثنا المؤرخون أن الحكام المسلمين كانوا أكثر تسامحًا ورِفقًا باليهود، بالمقارنة بما كان عليه هؤلاء اليهود قبل الفتح، وما لاقوه من تعنت في ظل حكام الرومان، ويرجع البعض هذا التعنت الذي عانى منه اليهود قبل الفتح إلى ما كانوا يقومون به من إساءة إلى النصارى وكنائسهم، الأمر الذي أثار عليهم الحكام.



كثيرًا من المفاهيم، وعلى رأسها العلاقات الاجتماعية، التي كانت بها بعض المغالطات، أولها: تحقير المرأة في الفكر اليهودي، والذي أشرنا إليه من قبل، إلا أن المجتمع الإسلامي كان أكثر احترامًا وحيادية بالنسبة للمرأة.

صورة المرأة في المجتمع الإسلامي:

قدَّم الإسلام للمجتمع العربي والعالم أجمع صورة للمرأة أعادت إليها ما سُلب منها من حقوق؛ فكان الإسلام طوق النجاة الذي ظلت المرأة أحقابًا كثيرة في انتظاره، خاصة عندما نعلم أن معظم الثقافات في المنطقة تقلل من شأن المرأة، فلقد أكد البعض أن "مركز المرأة في الشعب العبراني كان معادلاً – على نوع ما – لمركز المرأة الكلدانية في عهد حمورابي، فلقد كانت الفتاة بالنسبة إلى الشاب في حالة انحطاط أدبي ومدني لا يدع سبيلاً إلى المماراة، فكانت الفتاة تُتلقَّى حين ولادها بغير ارتياح ولا عطف، بينما كانت ولادة الولد الذكَر موجبة للفخار، ومعتبرة بركة علوية"[٤٠]، فبزغ فجر الإسلام فغيَّر من المفهوم السابق، وأوصى بالنساء خيرًا, فرأينا "أن الإسلام يخلو من ذلك الافتراض القائل: إن المرأة مصدر غواية وشر وموت، أو هي سبب سقوط البشرية"[٤١]... ولم تُغفل الثقافة الإسلامية دور المرأة كزوجة؛ فهو "حسب الشريعة الإسلامية لا يتغير وضع المرأة المسلمة القانوني بعد الزواج, بوصفها شخصية كاملة، قادرة على التملك والتصرف بدخلها وممتلكاتها كما تشاء... ويَعتبر الإسلام الرجال والنساء متساويين تمامًا في واجباتهم الدينية والمدنية، ولا ينظر إلى هذه المساواة على أنها تعادل في القدرات الطبيعية والمواهب، أو أنها تشابهٌ في الأدوار؛ لذا تكون نظرة الإسلام نظرة مساواة لا تعادل؛ فلقد خُلق الرجال والنساء مختلفين، وقُدرت لهم أدوار مختلفة في خلقهم... وقد قامت المرأة بدور رئيس في

للمزيد يرجى مراجعة: ابن خلدون: تاريخ العلامة ابن خلدون، جـ ٢ دولة اليونان، ص ٣٧٥، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١.

[٤٠] جان آمل ريك – مركز المرأة في قانون حمورابي وفي القانون الموسوي – تعريب الأستاذ سليم العقاد – ص ٣٦.

[٤١] إسماعيل راجي الفاروقي – لوسي لمياء الفاروقي – أطلس الحضارة الإسلامية – ترجمة عبدالواحد لؤلؤة – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – مكتبة العبيكان – الرياض – ١٩٩٨ – الطبعة الأولى ص٢٢٧ – ٢٢٨.

إقامة المجتمع الإسلامي، بوصفها سيدة المترل ومديرته، وبوصفها أمًّا تربي الأطفال، ومصدرًا للسكينة والامتثال والهناء والبركة والجمال"٤٢.

ومما سبق نستشعر أن الإسلام قد أعاد الأمور إلى نصابها، بعد أن مالت الثقافات التي سبقته إلى عدم الحيادية والتعنت الصريح تجاه المرأة؛ حيث ساد مبدأ القوي يأخذ حق الضعيف، تحت مسمع ومرأى من رجال الأديان والمعتقدات الأرضية، فكان من الطبيعي عندما يسُود الإسلام بمبادئه القويمة أن يتأثر مَن هم تحت إمرته بتشريعاته وثقافته، وهذا ما جعل اليهود يتأثرون إيجابًا بهذه الصحوة الإنسانية، وخاصة في الأندلس، تلك البقعة التي احتضنت اليهود فترة ليست بالقليلة، قدَّم فيها الأدباءُ اليهود أرقى المؤلفات، ومن بين هؤلاء الأدباء الشاعر شموئيل هناجيد، الذي قدم صورًا للمرأة كانت أثرًا لمن خلفه من الشعراء اليهود حتى يومنا هذا.

[42] إسماعيل راجي الفاروقي – لوسي لمياء الفاروقي – أطلس الحضارة الإسلامية – ترجمة عبدالواحد لؤلؤة – ص٢٢٧ – ٢٢٨.

ثانيًا: صور المرأة عند شموئيل هناجيد ٤٣:

كان من البديهي أن ينقل الأدباء والمفكرون هذه الصور السائدة في مجتمعاتهم سلبًا وإيجابًا، راصدين حالة المجتمعات وثقافاتهم، راضين عنها مرة، وراغبين عنها أخرى، فوجدوا أن صور المرأة متعددة، منها المحبب، ومنها دون ذلك، فكان من الطبيعي أن تلفت أنظارهم٤٤، يجلُّونها إذا أحسنت، ويقلِّلون من شأنها إذا أساءت، ومع اتصال القيم الإسلامية بالتراث الأدبي العربي، ظهر في المجتمع الإسلامي منهج ينظم علاقة شريكَيِ الحياة، فصارت العلاقة بين الرجل والمرأة

---

[٤٣] هو شموئيل بن يوسف هليفي، ابن النغريلة، الذي عرف في الأوساط العربية بأبي إسماعيل بن يوسف اللاوي بن النغريلة، وذلك كعادة اليهود في العصر الوسيط؛ إذ كان لكل منهم اسم يُعرَف به في الأوساط العربية غير أسمائهم التي يعرفون بها بين طائفتهم اليهودية، وكان يفتخر بأنه ينتمي إلى سبط لاوي.

للمزيد يرجى مراجعة: ישראל לוין: שמואל הנגיד חייו ושירתו، הדפסה השניה، הוצאת הקיבוץ המאוחד، ירושלים,1973 - עמ'38.

وقد اختلفت المصادر حول سنة مولده.

للمزيد يرجى مراجعة: ד"ר ישראל צינברג: תולדות ספרות ישראל،כרך א', הוצאת יוסף שרברק בע"מ، תל - אביב،עמ' 40.

كما نجد بعض المصادر الأخرى تذكر أنه ولد عام ٩٩٢م.

للمزيد يرجى مراجعة: יוסף שה - לבן:שמואל הנגיד,הערות והנחיות ללימוד ולקריאה,הוצאת אור - עם، תשמ"ב،עמ' 5.

وكعادة اليهود في هذا العصر الذي انتشرت فيه الثقافات، تضلع الناجيد في التوراة وفي الآداب الأخرى، ولا سيما اللغة العربية وآدابها؛ نظرًا لكونها اللغة السائدة والمتعامل بها في الحياة اليومية، كما أنها لغة العلم والثقافة.

للمزيد يرجى مراجعة: ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، تحقيق: د/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، ج٢، ص١١٤.

[٤٤] لقد وصف أبو الطيب المتنبي أحوال النساء قائلاً:

إذا غدَرت حسناءُ وفَّت بعهدها = فمِن عهدها ألا يدومَ لها عهد

وإن عشِقت كانت أشدَّ صلابة = وإن فرِكَتْ فاذهَبْ، فما فِركها قصد

وإنْ حقَدَتْ لم يَبقَ في قَلبِها رِضًا = وإنْ رَضِيَتْ لم يَبقَ في قَلبها حِقدُ

كذلك أخلاقُ النساء وربما = يضلُّ بها الهادي ويخفى بها الرُّشد

للمزيد يرجى مراجعة: يسري سلامة، الحكمة في شعر المتنبي، ص ١٧٢.

ويقول ابن زيدون:

خُنتَ عهدي و لم أخُنْ = بعتَ وُدِّي بلا ثَمَنْ

للمزيد يرجى مراجعة: ديوان ابن زيدون، تحقيق: علي عبدالعظيم، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٥، ص ١٩١.

أكثر رقيًّا وإجلالاً عما كانت عليه من قبل، خاصة في ظل الأوامر الإلهية التي وردت في القرآن الكريم؛ من تأكيد على إكرامهن، وإحاطتهن بالعطف والشفقة، ومعاملتهن معاملة حسنة تليق بهن؛ قال تعالى: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [النساء: ١٩]، وفي الأحاديث النبوية: فعن عمر بن الأحوص الجشمي رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد أن حمِد الله وأثنى عليه: ((ألا واستوصوا بالنساء خيرًا؛ فإنما هنَّ عوانٍ بينكم))[٤٥]، فما كان من شعراء اليهود إلا أنهم اقتفوا أثر الشعراء العرب في أشعارهم وتوجُّهاتهم الأدبية، بداية من مرحلة الريادة الشعرية ليهود الأندلس، نهاية بمرحلة الازدهار، تلك المرحلة التي عبر الناجيد فيها عن توجهاته الأدبية، مخصصًا جزءًا غير قليل من إنتاجه ليقدم فيه صورًا للمرأة، وخاصة في دورها زوجة وأمًّا؛ حيث جاءت صورة المرأة كزوجة في مقدمة الصور التي عرضها الناجيد في مؤلفاته[٤٦].

صورة المرأة زوجة وأمًّا عند الناجيد:

يبدو أن الناجيد قد اهتم بصورة المرأة كزوجة فأفرد فيها أبياتًا، واصفا إياها جوهرًا ومظهرًا في شكل وعظي، قدم فيه النصح للذي يريد أن يتخذ زوجة فقال:

בחר לך למשכב חיקך את יראת אל \ ודומה לתפוח מהלל במענהו

רקוחה כמי ריחו מתוקה כמו טעמו \ חלקה כמו גלדו ויפה כמראהו[٤٧]

اختر لحضنك التقية / كالتفاحة بما تعنيه الكلمة

طيبة كطيبها وطعمها / ناعمة كملمسها وجميلة كهيئتها لم يكن الناجيد الوحيد بين شعراء اليهود في الأندلس الذي عبر عن المرأة بالتفاحة، بل صوَّر "يهودا اللاوي"[٤٨] محبوبته على أنها

[٤٥] الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: رياض الصالحين، ص١٤٠، القاهرة، ١٩٦٥.

[٤٦] ولقد كتب الناقد والمؤرخ أبراهام بن عزرا عن شموئيل هناجيد ومؤلفاته في مقدمة كتابه (**מאזנים**) – ميزان –. للمزيد يرجى مراجعة: צבי הירש עד עלמאן - יהודה הכונה ליב דוקעס - גנזי אקספרד [ספר כולל פיוטים ושירים יקרים ממשוררי ספרד הקדמונים - לונדון - שנת תר"י לפ"ק - עמ" ٣.

[٤٧] שלומית אליצור - שירת החול העברית בספרד המוסלמית - כרך שני - האוניברסיטה הפתוחה - תל אביב 2004 - עמ" 100.

تفاحة٤٩ أيضًا، وربما كان استخدام الناجيد لهذا التشبيه تأثرًا بالبيئة الأندلسية التي كانت مليئةً بالمناظر الخلابة، والتشبيهات الأدبية البديعة, ولكن الصفة الأولى التي قدمها الناجيد عبَّر عنها بالتقية، ليعطي انطباعًا بأن الخُلق الحميد يأتي في مرتبة أولى قبل الشكل المحبب للنفوس، فلن تنتهي علاقة المرأة بالرجل عند الشكل الخارجي، بل يجب أن تكون المرأة ذات خُلق حميد؛ وذلك لأنها لن تكون زوجة وحسب، بل أمًّا لأبناء سيكونون اللبنات الأولى للمجتمع؛ فهي المكلَّفة بتشكيل ثقافتهم الأولى، ومعرفتهم المبدئية؛ فهي تؤثر في موروثهم الجيني بما تحمله من صفات وراثية حميدة، ورثت بعضها، واكتسبت البعض الآخر، فتورث أبناءها بعضًا من صفاتها الموروثة قبلاً، وتعلمهم وتغرس فيهم صفات حميدة أخرى.

فلا شك أن الأم في المجتمعات بمثابة الأساس التهذيبي والتربوي لأبناء أي مجتمع، وعندما يريد المرء الزواج يجب أن يكون دقيقًا في اختياره، فلا بد أن يختار المرأة الخلوقة، التي تصلح كشريك في الحياة، وفي ذلك يقول الناجيد:

יְשַׁר - דֶּרֶךְ הַתְרְצֶה לַחֲזוֹת לָךְ כְּמוֹתָךְ בֵּן קְחָה אִשָּׁה נְבָרָה٥٠

לְמַעַן בֵּן-נְבָרָה בַּר כְּאִמּוֹ וְאִשָּׁה נַעֲוָה מִבַּר עֲקָרָה٥١

للمزيد يرجى مراجعة: د/عبدالوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصِّهيونية، المجلد الثالث، الجزء الثاني، الباب الحادي عشر، القاهرة، دار الشروق، طـ ١٩٩٩.

يهودا بن صموئيل اللاوي، الذي عُرف في الأوساط العربية بأبي الحسن بن اللاوي...، ولد يهودا اللاوي في الربع الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي في مدينة طليطلة، حوالي عام ١٠٧٥ م".

[٤٨] للمزيد يرجى مراجعة: חיים שירמן: השירה העברית בספרד ובפרובאנס. הוצאת מוסד ביאליק، מהדורה שניה، ירושלים، דביר، תל - אביב، תשט"ו, הדפסה השלישית - כרך2. עמ 426.

[٤٩] שלומית אליצור - שירת החול העברית בספרד המוסלמית - כרך שני - עמ" 100.

[٥٠] ولقد فسر أبرهام بن عزرا ما ورد في سفر الأمثال بقوله: "اشرب من ماء بئرك؛ ليكون لك وحدك، ولكيلا تزني امرأتُك، ويكون منبعك مباركًا، إن حفِظت نفسك من هذا، فالمقصود من قوله: "منبعك مبارك" الزوجة الصالحة؛ فصلاحُها أساسُ صلاح الولد".

للمزيد يرجى مراجعة: אברהם אבן עזרא: פירוש משלי، הוציאו לאור שמואל רולם דריבר، עמ' 7، נדפס.

מחודש על יד הוצאת מקור ירושלים، תשל"ב.

[٥١] ש.אברמסון: רבי שמואל הנגיד، בן משלי، עמ' 186.





أيسر طريق لرؤية ابن لك مثلك، هو اتخاذ زوجة صالحة

لأن ابن المرأة الصالحة بار كأمه، والمرأة المتعجرفة لا تلِد بارًّا

وضَّح الناجيد في الفقرة السابقة أقصر الطرق وأيسرها لمن أراد ابنًا صالحًا بارًّا بأبيه، فقال: إن الأم الصالحة هي منبت الابن الصالح، ونستطيع القول بأن الناجيد قد اتجه إلى بيان أثر سلوك المرأة في وليدها، وإن كان الأمر كذلك، فيجب علينا أن نتساءل عن تلك المرأة التي وصفها الناجيد بالتقيَّة تارة، والصالحة تارة أخرى، فلا بد أن هذه الصورة لا تخرج عن دائرة ذات الدِّين التي أوصى بها الإسلام، متأثرًا بالثقافة الإسلامية[٥٢]، التي قدمت الصورةَ الصحيحة التي يوصى بها.

ثم يستطرد الناجيد في تقديم صور للمرأة كزوجة، ولكن في هذه الحالة يقدم صورة الأم المتعجرفة التي لن تلد إلا فاجرًا غير بارٍّ، فيقول:

טַעַת אִילָן עַל מַבּוּעַ תַּעַשׂ פְּרִי כִלְבַב נוֹטְעוֹ

כֵּן מוֹלִיד אֵשֶׁת בַּת טוֹבִים(٥٣) טוֹב בָּאָרֶץ יִהְיֶה זַרְעוֹ(٥٤)

غرس شجرة في الدِّمَـــــن[٥٥]، ستخـــرج ثمارًا كالذي غرست فيه

وكذلك المرأة الطيبة تلد طيبًا، فالزرع يكون كالأرض التي زرع فيها

حيث يرى الناجيد أن المرأة مثل الأرض، إما أنها جيدة صالحة فتنبت نباتًا صالحًا جيدًا، وإما أنها أرض فاسدة غير خصبة، وهي ما سماها الناجيد بالدمن، فيكون نباتها نباتًا سيئًا، وربما كان هذا المفهوم شائعًا في زمن الناجيد كشيوعه في كل زمان ومكان، ولكن الناجيد ربما أراد شيئًا آخرَ

---

[٥٢] لقد ورَد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في اختيار الزوجة: ((تُنكح المرأة لأربع؛ لمالها، ولحسَبها، ولجمالها، ولدِينها، فاظفر بذات الدِّين تربت يداك)).

للمزيد يرجى مراجعة: عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي - الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير - دار الكتب العلمية - بيروت - بدون تاريخ - ج٨ - ص٤٢٩.

[٥٣] ورد التفريق بين المرأة الصالحة والطالحة في العهد القديم؛ فقد ورد: "**אשת - חיל עטרת בעלה וכרקב בעצמותיו מבישה**. المرأة الفاضلة تاجٌ لبعلها، أما المخزية فكنخر في عظامه؛ الأمثال: ٤/١٢.

[٥٤] ש.אברמסון: רבי שמואל הנגיד، בן משלי، עמ' 176.

[٥٥] الدِّمن: بالكسر هو البعر، ودمنت الماشية المكان تدمينًا فهو متدمن، ويراد به أيضًا: عفن النخلة.

للمزيد يرجى مراجعة: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، جـــ٤، ٢١٩.



يميل إلى العنصرية في انتقاءِ الأم الصالحة للأبناء، وهي التي تنتمي إلى وسط غير دنيءٍ، وهو متأثر بالحديث النبوي الشريف، الذي يحذِّر من المرأة حسَنةِ المنظر سيئة المنبت والوسط؛ وربما يقصد الناجيد أصيلة النسب، وفي هذه الحالة يريد الإشارة إلى بنات عرقه، وإن كان هذا أو ذاك فلا شك أن الناجيد أخذ مصطلح: "الدِّمن" من الثقافة الإسلامية؛ لعدم وروده في موروثه الديني.

وقد يتساءل البعض: وهل كان اليهود يتخيرون زوجات غير يهوديات؟

الحقيقة أنه لم يرد ذكر تخيُّر اليهود زوجات غير يهوديات في الأندلس الإسلامية، إلا أن اليهودَ تحت حكم المتنصرين في إسبانيا المسيحية، قد حُرموا من الاختلاط، حتى وهم في مجتمع كثُرت فيه الأجناس الأخرى[٥٦]، وهذا يؤيد الترجيحَ الأول، وهو أنه يقصد بنات طائفته؛ فهم لم يتخيروا غير يهوديات كزوجات لهم في ظل الحُكم الإسلامي، ولكن كانت لهم جوارٍ ومحظيات يعتنقن غير اليهودية.

وفي حديث الناجيد عن الأم وتصويرها بالأرض المعدة للزراعة يأتي لنا بتشبيه يجعل فيه سنَّ الرجل الراغب في الزواج غير ذي أهمية فيقول:

זְרַע אֶת-זַרְעֲךָ הַטּוֹב בְּיוֹרֶה וּבַמַּלְקוֹשׁ וְתִבְחַר אֶת-זְרִיעָה

בְּמֵיטַב הָאֲדָמָה הַשְּׁמֵנָה וְאֶת - בָּנִים בְּבַת טוֹבִים יְדוּעָה[٥٧]

اغرس زرعك الطيب في الصغر وفي الكبر وتخيَّر الغرس

في أفضل الأراضي وأخصبها فالأبناء عند المرأة الحسيبة

ينصح الناجيد أبناء طائفته عندما يرغبون في إنجاب أبناء صالحين في أي مرحلة من مراحل العمر (الشباب أو الكهولة)، دون أن يفرق الناجيد بين الإنجاب في مقتبل العمر أو في أواخره؛ أي إنه لم يوقف الزواج بسن معين، بل الأمر المهم هنا اختيار الأرض الصالحة للزراعة، ويعني بها الأم المناسبة؛ حيث صوَّر المرأة الحسيبة بالأرض الخصبة الصالحة، ثم أضاف بأنها المرأة طيبة الأعراق

---

[٥٦] في ظل الوجود اليهودي تحت مظلة الحكم المسيحي قبل الفتح الإسلامي، ومن بين القوانين الصارمة التي فرضت عليهم، صدر قانون في سنة ٥٨٩م يحرِّم على اليهودي عدمَ اقتناء عبيد مسيحيين، وألا يتزوجوا من المســيحيات، وإلا سيعاقَبون بالحرق أو الرجم.
للمزيد يرجى مراجعة: אוצר ישראל: אנציקלופדיה, חלק שביעי, עמ' ٢٥٨، מהדורה שלישית، לונדון، ١٩٣٥.

[٥٧] ש.אברמסון: רבי שמואל הנגיד، בן משלי، עמ' 145.

– بنت الأخيار – (בַת טוֹבִים)، ويبدو أن هذا التعبير قد اعتاد عليه الناجيد فضمَّنه بعض أبياته، مكررًا إياه للتأكيد على أهميته، والأمر الجدير بالذكر هنا أن الناجيد شبه تلك المرأة النسيبة بنت الآباء الأخيار بأنها هي المرأة الولود كالأرض الخصبة وفيرةِ الثمار.

ويتابع الناجيد فقراته التي تصور المرأة كزوجة لها صداق واجب وهدية تزيد على صداقها؛ حيث يقول:

וּלְנַעֲרָה מוֹהַר וּמַתָּן אֶל- הַטּוֹב לְדוֹבֵר הָאֱמֶת מוֹהַר

וּלְאֵם אֱמֶת יַלְדֵי אֱמֶת וּכְאֵם עַוְלָה יְהוּ בָּנִים אֲשֶׁר תַּהַר[٥٨]

وكما للعروس صداق أسرع في إعطاء الأفضل لمن قال الحق

وكما أن للأم الصالحة أبناء صالحين، فالأم المعوجة يكون أبناؤها مثلها

من خلال البيتين السابقين يؤكد الناجيد على الصداق والهبة للعروس، دلالة من الناجيد على التأثير الإسلامي الذي جعل الصداق حقًّا أصيلاً للزوجة؛ قال تعالى: {وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا} [النساء: ٤]، وما زاد على مهر المثل[٥٩] فهو هدية، وهذا إقرار من الناجيد بذمة الزوجة المالية المنفصلة، واللافت للنظر أن الناجيد أخبر بذلك موقنًا أنه من المسلَّم به، ثم يتابع بوصفه لصورة الأم، معبرًا بأنه لا بد أن يكون هناك توافق أخلاقي بين الأم وولدها، فإن كانت صالحة كان ولدها صالحًا، وإن كانت سيئة كان ولدها سيئًا، وهو هنا يريد أن يقرَّ قاعدة بأن المولود – في الغالب – صورة من أمه، وإن كان هذا القول لا يُقبل كقاعدة عامة، فلكل قاعدة مخالفة، والصفة التي ساقها الناجيد ليدلل بها على الأم التي تتوفر فيها الخصال الحسنة هي **אם אמת**، إن ترجمت إلى "الأم الطيبة" فالترجمةُ غير دقيقة، ولا تعطي المعنى المطلوب، وإن ترجمت إلى "الأم الفاضلة"[٦٠]، فالمصطلح الموجود في سفر الأمثال (**אשת חיל**)، وإن ترجمت إلى "الأم الصديقة"، فالفكر اليهودي نراه غريبًا في نظرته إلى الصديقين؛ حيث يرى أنه ليس هناك **צדיק גמור**[٦١]، كما تحدث الناجيد أيضًا في الفقرة عن الأم المعوجة أو الأم الجائرة التي ستلد أبناءً جائرين، ومما سبق يتضح أن

[٥٨] ש.אברמסון: רבי שמואל הנגיד، בן משלי، עמ' 145.

[٥٩] مهر المثل: هو الصداق المماثل في القيمة، الذي أعطي لعروس على شاكلة العروس.

[٦٠] امرأة فاضلة من يجدها؛ لأن ثمنها يفوق اللآلئ؛ أمثال: ٣١/١٠.

[٦١] لأنه لا إنسان صديق في الأرض يعمل صلاحًا ولا يخطأ؛ الجامعة ٧/٢٠.



الناجيد قدم صورة وضدها، معتبرًا أن الزوجة الصالحة هي كتر ثمين، وهي عضد الرجل وعونه، وإذا أعدت فهي واهبة صفاتها الحسنة لأبنائها، أما الزوجة السيئة ذات الخُلق السيئ فهي وبال وعبء جسيم، وأبناؤها مثلها؛ فالغاية الأولى من الزواج من المرأة ذات الدِّين أن تقدم للزوج الراحة والسكن، ثم تربية البنين على الفضائل والأخلاق الحميدة، وهذا ما يرجوه كل ذي عقل سليم.

كيفية التعامل مع المرأة من وجهة نظر الناجيد:

ومع أن المرأة هي الشريك القيم المؤثر الذي يرجوه كل رجل سوي، فإن هذا الشريك لا بد له ألا يتسيَّد على الزوج الذي كلِّف بطاعته بالنصوص السماوية؛ فمفهوم شريكين يقع ما بين طائع (زوجة)، وآمر بالمعروف (زوج)؛ لأن لكل منهما أدوارًا حياتية تستحيل للآخر الإتيان بها، ومع هذه الشراكة فليس من حق الزوجة معاقبة الزوج، مع وجوب تقويم الزوجة إذا حادت وتمردت، فنرى الناجيد يقدم طريقة التعامل مع المرأة المتمردة، مضيفًا صورة للمرأة حال كونها متمردة متسلطة، فيقدم بيانًا لكيفية التعامل معها إذا خرجت عن شرعيتها وحاولت التسلطَ واكتساب ما ليس من حقها، فيقول:

הַךְ אִשְׁתְּךָ מַכַּת בְּלִי סָרָה אִם תִּמְשׁוֹל בְּךָ כְּאִישׁ וְתָרִים רֹאשָׁהּ
אַל-נָא בְּנִי אַל-נָא תְּהִי אַתְּ אֵשֶׁת אִשְׁתְּךָ וְתִהְיֶה אִשְׁתְּךָ אִישׁ אִישָׁהּ [٦٢]

اضرب زوجتك بلا أسف إن تسيدت عليك كرجل وترفعت

يا بني، إن لم تفعل ذلك فستكون أنت زوجة لزوجتك، وتكون زوجتك زوجًا لك

في البيت الأول يعلن الناجيد طريقة التعامل مع المرأة التي اتسمت بالعصيان والتمرد؛ فمثل هذه المرأة قد لا ينفع معها الحديثُ اللِّين الوعظي، فلا بد من علاج آخر يتمثل في العقاب الجسدي، وقد يعتقد البعض أن الضرب للمرأة من باب التعنت وإظهار القوة، إلا أن الضرب ربما يكون علاجًا ناجزًا لبعض الحالات المعوجة للمرأة.

ومع أن التوراة ذاتها توعدها بالألم والتوجع في سِفر التكوين، كما توعدها بسيادة الرجل عليها، فإن الآداب العربية قدمت كيفية تنشئة المرأة وتعليمها قواعد التعامل مع الرجل، ولكن

[٦٢] ש.אברמסון: רבי שמואל הנגיד، בן משלי، עמ' 40.

دون ضرب أو إهانة[63]، ومع هذا فالضرب بالنسبة للمرأة ربما يكون في سبيل تعديل بعض السلوكيات المَعيبة التي لن تعالج إلا به، بعد أن تنفد الطرقُ الأخرى من وعظ وهِجران، ومن ثَم فإن الناجيد يحذر ويشدد في التحذير من التهاون والتساهل في معاملة المرأة، حتى لا تتسيد عليه، باعتبار أنه الرجل الذي ينبغي أن تكون له الهيمنة والسلطة، ولكن هذه السيطرة والهيمنة لا بد لها من شرط، ألا وهو القوامة على المرأة، أو بمعنى القيام على خدمة المرأة؛ حتى يكون انصياعها للرجل عن تقدير واحترام، وليس تعنت ولا ندية قد تودِي بمستقبل الكيان الأُسري.

وعندما يستخدم الناجيد مصطلحًا يفيد خروج المرأة عن دائرة التحكم "**ותרים ראשה**"؛ (أي: ترفع من رأسها وتتعالى عليه)، فهو يعني بذلك أنها لا بد أن تكون طائعة غير متمردة ولا ثائرة، كذلك لا ينبغي أن يكون الرجل ضعيفًا أمام زوجته؛ فهذا خرقٌ للقاعدة الأُسرية، وضياع للأدوار الحياتية.

ثم يؤكد الناجيد ما سقناه من قبلُ من احتمال عدم توافق وصلاحية كلمة "عون" – مساعد – كوصف عام للمرأة كزوجة، إلا أن التحذير من المرأة جاء مسبوقًا بالدعوة على المحافظة عليها مكنونة محفوظة؛ حيث قيل:

קְנֵה חֶדֶר לְנָשֶׁיךָ וּמַסְגֵּר וְאַל – תָּבִיא לְךָ אִשָּׁה בְּסוֹדְךָ

וְאַל-תַּצְדִּיק אֲשֶׁר תֹּאמַר לְךָ כִּי אֱמוּנָה לֹא תְדַבֵּר – לָךְ בְּעוֹדְךָ[64].

اجعل لنسائك حجرة مغلقة، ولا تُفضِ لامرأة سرًّا

ولا تصدق ما تقوله لك فلن تصدقك قولاً

في البيت الأول يأمر الناجيد كل الرجال بأن يجعلوا لنسائهم مكانًا مغلقًا[65] يسكنَّ فيه، والواضح أنه لم يبين سبب هذا الأمر، أيكون هذا لعدم الثقة بهن؟ أم أنه للحفاظ عليهن؟ وربما

---

[63] ويرى البعض أن المرأة لكي تكون عونًا للمرء – زوجها – يجب أولاً أن تعالج "وأكثر العلاج في إصلاح المرأة منعُها من محادثة جنسها، ومن خروجها من بيتها واطلاعها من ذروته، وأن تكون عنده – أي الزوج – عجوزٌ تؤدبها وتلقنها تعظيم الزوج، وتعرفها حقوقه.

للمزيد يرجى مراجعة: أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي: اللطائف والطب الروحاني، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٦٩، ص ١٣٥.

[64] ש.אברמסון: רבי שמואל הנגיד، בן משלי، עמ' 253.



أراد الناجيد ألا تعرف النساء سوى رجل واحد، فلا يتطلعن لغيره من الرجال، وربما كانت الافتراضات السابقة كلها مجتمعة في مقصده، ثم يجزم الناجيد بأن النساء لا يؤتمنَّ على سر[٦٦]، وإذا تحدَّثن بأمر كنَّ من الكاذبات، ولم يستثنِ الناجيد من النساء واحدة، ولعله ظالم في حُكمه العام على النساء بأنهن كاذبات، وربما كان محقًّا في أن المرأة قد تحكُمُ على الأمور بعاطفتها وليس بعقلها، وبذلك تكون مشورتها غير نافعة وغير ذات جدوى، وهذا يعني أن الشريك المرجو فقَدَ أهم عامل، وهو تقديم المشورة، ويعني أيضًا إحساس الناجيد بعدم الأمان للمرأة؛ فهو يراها مجالاً للشك، وهو من الأمور التي ترسخت عند اليهود، ولم يشفَعْ للمرأة عنده أنها أصبحت زوجة وأمًّا للبنين حتى يأمن جانبها؛ ولذا تفقد المرأة جانبًا هامًّا من وظيفتها كزوجة وكشريك، ويبدو أن الناجيد لم يدرك حفظ المرأة في الإسلام، فكون المرأة محفوظة؛ لأنها أُمِرت بذلك، ولم تُحكَم من قِبل الرجل ليحبسها داخل مكان مغلق؛ حيث قال عز وجل: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب: ٣٣]، "فهذا أمر إلهيٌّ بالقرارِ في البيت للمرأة دون تدخل من الرجل؛ فهذا أكرم لها، وحِفاظ لها، وتقرُّب لله، وليس إقلالاً من شأنها، وذلك من مهامِّ وظيفتها.

---

[٦٥] وأكثر العلاج في إصلاح المرأة منعُها من محادثة جنسها، ومن خروجها من بيتها واطلاعها من ذروته، وأن تكون عنده – أي الزوج – عجوز تؤدبها وتلقنها تعظيم الزوج، وتعرفها حقوقه.

للمزيد يرجى مراجعة: أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي: اللطائف والطب الروحاني، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، ص ١٣٥.

[٦٦] وتكرار هذا الأمر عند الناجيد يرجع في حقيقته إلى ما سبق وتردَّد في ثنايا الفكر اليهودي، خاصة عند هائي جاؤن أحد رجال الفكر الديني اليهودي في المشرق العربي، فقد قال: האי גאון " ואל תדע / בסודך / ואם תוליד / לך בנים / ובנות ولا تُطلعها على سرك وإن أنجبت لك البنين والبنات.

للمزيد يرجى مراجعة: משה שטיינשניידר: מוסר השכל המיוחס לרבי האי גאון، עמ' 4.

وظيفة المرأة عند الناجيد:

خُلقت النساء لمشاركة ومعاونة الزوج، هكذا يقر الناجيد، ثم يستثني من هذه السنة الكونية بعضهن، ويبدو أن الناجيد وضع يده على القاعدة ومخالفة القاعدة؛ فالقاعدة أن تكون المرأة عونًا وشريكًا للرجل، والمخالفة تكمن في التمرد وعدم الطاعة، وقد أنصف الناجيد عندما قصر العصيان على بعض النساء، وليس كلهن.

فقال:

נָשִׁים לְעֵזֶר נִבְרְאוּ אַךְ יֵשׁ בְּמִקְצָתָן מְרִי
לֹא נִבְרְאוּ לַעֲמוֹד בְּסוֹד וּלְרוֹב עֲצָתָן אֵין פְּרִי[٦٧]

خُلقت النساء للعون ولكن في بعضهن تمرد

و لم تخلق النساء لحفظ السر، وأغلب مشورتهن بلا فائدة

يكرر الناجيد قوله السابق بأن المرأة خلقت للعون والمساعدة، إلا أنه أضاف في الشطرات الأخرى بعض الخصال غير الحميدة للمرأة، فيقول في الشطر الثاني: إن هناك بعض النساء تتصف بالتمرد والعصيان وعدم إطاعة أوامر أزواجهن، ومثل هؤلاء النسوة قد يتصفن بالقسوة، ثم ينتقل من الشطر الأول من البيت الثاني إلى الشطر الثاني من البيت نفسه، فينفي عنهن كتم السر، ويؤكد الناجيد هذا الوصف بقوله: "خُلقن"؛ أي: النسوة؛ فهو يؤكد على خصلة جُبِل النساء عليها، ولكنه مع إطلاقه لم يستثنِ بعض النسوة من ذلك الخُلق، كما فعل في خصلة التمرد، ويبدو أن الناجيد قد أراد أن يؤكد على صورة المرأة المفشية للأسرار، ثم يختتم فِقرته بذكر مسألة غاية في الأهمية، وهي مشاورة النساء، فيصف مشورتهن بأنها لا تأتي بفائدة، وأنها مشُورة لا يرجى بعدها خير، وربما أراد الناجيد من هذه الفقرة جعلَ المرأة كائنًا لا يقدم إلا الخدمات التي تطلب منه، وربما يكون استخدام كلمة "عون" كوصف للمرأة غير منطبقٍ تمامًا مع باقي صفات المرأة التي ذمها وحذر منها الناجيد.

يبدو أن الناجيد قد جعل من مصطلح (לְעֵזֶר) للعون أو للمساعدة دلالة على المرأة، ولكنه أغفل أن المساعدة من قِبل المرأة ليست على الإطلاق؛ فهي تساعد في أشياء، وتضر بأخرى، ومع ذلك فالمرأة والرجل جزآن يكمل أحدهما الآخر، ولا تستقيم الحياة لأي منهما بعيدًا عن

[٦٧] ש.אברמסון: רבי שמואל הנגיד، בן משלי، עמ' 212.

الآخر؛ فقد خُلقا لهذه المهمة معًا، وحاجتهما إلى بعضهما حاجة طبيعية؛ ولذلك يقال بأن المرأة هي نصف المجتمع، باعتبارها الوعاء الذي ينتج عنه إعمار هذا المجتمع، ولقد تفهم الناجيد ذلك جيدًا، وعبر عن ذلك نظمًا في كتاباته فقال:

לְעֵזֶר נִבְרְאוּ נָשִׁים וְנוֹחַ וְאֵין אָדָם בְּלֹא עֵזֶר וְהוּא נָח
וְלֹא נִמְצָא גְּבִיר יָשַׁב בְּבִטְחָה וְהִנִּיחַ בְּנֵי אָדָם וְהוּנָח[٦٨]

خُلقت النساء للعون[٦٩] والسكن، فلن يستريح أي امرؤ بلا معين

فلن تجد زوجًا يعيش في أمن وراحة إلا وأراح الناس

لقد كانت رسالة الناجيد التي أعلن عنها في هذين البيتين صورة واضحة يمكن إجمالها في أمرين:

(أ) الإقرار والتأكيد على أن الرسالات السماوية أعلنت أن الزواج سكن ومحبة وتعاون بين الزوجين، وأنه لا غنى لأي من الرجل أو المرأة عن الآخر.

(ب) أن في استقامة هذه العلاقة بين الطرفين راحة وأمانًا لكليهما، وأنه إذا استراح الرجل لا بد أن ينعكس ذلك إيجابًا على سلوكياته وأفعاله وعلاقتِه مع جميع أفراد مجتمعه؛ إذ سيستريح الجميع، ويؤدون ما عليهم في أمن وطمأنينة، وفي ذلك رقي وتقدم لأي مجتمع.

إذًا فالمرأة شريكة الرجل في النهوض بمجتمعها الصغير، ونعني به أسرتهما وأولادهما، فلا مناص إذًا للرجل من أن يبحث عن هذا العون.

الرؤية الخاصة بالناجيد للحياة تنبع من وجوده في مجتمع كان ملتقى ثقافات عدة، وربما وصلت إليه هذه الثقافات جراء تجواله في العديد من مدن الأندلس، مما جعله يكون محقًّا تارة، وجائرًا أخرى، كما جعلته في بعض الأحيان رجلاً عمليًّا، يعرف كيف يتعامل مع الأحداث بما يعود بالمصلحة عليه؛ ولذلك نجده يرسم السبل لكيفية التعامل في الحياة تبعًا للثقافات والهوى الشخصي، خاصة مع النساء، فيقول:

עֲזוֹר אַחִים וְאַל תֵּשֵׁב-לְךָ פֶּן תְּהִי נִגָּף לְמַעַן הַגְּבָרִים
לְנֶגֶף אוֹ לְעֶזְרָה הֵם יְצוּרִים וְנָשִׁים לַעֲשׂוֹת אֵבֶל וְשִׁירִים[٧٠]

---

[٦٨] ש.אברמסון: רבי שמואל הנגיד، בן משלי، עמ' 117.

[٦٩] ואל - אישך תשוקתך והוא ימשל - בך وإلى رجُلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك؛ التكوين ١٦/٣.

ساعد الإخوان ولا تمتنع خشية الذم؛ فإن الرجال

خُلقوا للكد والعون، وخُلقت النساء للنواح والغناء

تبين هذه الفقرة بعضًا من صفات الرجال، مثل الكد والتعب، والإسراع إلى غوث الملهوف ونجدة المحتاج، كما تبين أن دور المرأة يقتصر على العويل والنواح في حالة الحداد، والغناء في حالة الأفراح، فلم تورد الشريعة نصًّا صريحًا يحرِّم ارتفاع صوت المرأة بالنواح أو الغناء، وإلا ما حدد الناجيد هذا الدور للمرأة وهو رجل تضلع في الشريعة اليهودية وله باع طويل في هذا المجال، ويبدو أنه خرج عن دائرة الثقافة الإسلامية، التي حثَّت على خفض الصوت بشكل عام للرجال والنساء، وربما أراد الناجيد تقديم صورتين متضادتين توضِّح كل منهما الأخرى، الصورة الأولى دلالة على القوة والمكابدة، وخصص هذه الصورة للرجال، والصورة الثانية دلالة على الضعف والاستكانة، وخصصها للنساء، ومع كل ما تقدم فهو يوضح أمورًا بعينها، وصورًا بذاتها، للتحذير من المرأة، ومعرفة كيفية المعاملة.

التحذير من المرأة:

لا شك أن المرأة سبب رئيس في الفتنة البشرية، ولن نغاير الصحيح من القول إذا اعتبرنا المرأة بالنسبة للرجل إغواءً بشكل عام، وفي المقابل لا يشكل الرجل إغواءً بالنسبة للمرأة؛ فالرجل يميل للمرأة بطبعه، وإذا مال للمرأة تحققت رغباتها منه، وفي ذلك يقول الناجيد في هذا البيت:

חֲמִשָּׁה מְעַט יִהְיוּ וְלֹא יַעַמְדוּ רְכוּשׁ רַב וְצֵל עָנָן וְאַהֲבַת נָשִׁים[71]

خمسة أمور لن تدوم؛ ثروة طائلة، وظل سحابة، وعشق للنساء[72]

---

[70] שם: עמ ' 264.

[71] ש.אברמסון: רבי שמואל הנגיד، בן משלי، עמ' 166.

[72] ويحذر ابن سيرا في باب المرأة من الوقوع في فخ النساء؛ حيث قال:

הרחק רגליך מאשה זונה בן תלכד מצודתה ابتعد عن المرأة الزانية حتى لا تقع في حبائلها

للمزيد يرجى مراجعة: בן סירא: כתובים אחרונים על פי תרגום מיוונית של יצחק זעקיל פרענקיל، פרק ט',

ווארשה, 1885.

* قال عبيد بن الأبرص:

عن المرء لا تسأل وسَلْ عن قرينه = فكلٌّ قرين بالمقارن يقتدي



هنا يحذر الناجيد من التهافت على النساء، والوقوع في حبائلهن، إلا أن الناجيد عندما حذر من المرأة جعلها في المقام الثالث؛ فهو متأثر بحب المال الذي عُرف عن اليهود بشكل أو بآخر، فجعل حب المال في المقام الأول، ثم جاء بالتحذير من محبة النساء، ولم يحذر من النساء بشكل عام، وهذه دلالة على أنه يحذر من محبة النساء التي قد تورث ضعفًا؛ فهو يسعى لعدم التعلُّق بالمرأة.

وفي الفقرة التالية يقدم الناجيد صورة للمرأة الحافظة لبيتها، وتلك وظيفة المرأة الحقيقية، وإن صح التعبير المرأة الصالحة، ولكن يجب أن تخلو هذه المرأة من عيب حذر منه الناجيد فقال:

תְּחִלַּת זְנוּת לֵבָב[٧٣] רְאוּת עֵינַיִם וְרֵאשִׁית מְרִי בָּאָה עֲלֵי-אָזְנַיִם

וְאִשָּׁה פְּקִידָה עַל - שְׁמִירַת בַּיִת[٧٤] וְלַפֶּה שְׁמִירַת גּוּף וְלַשְּׂפָתַיִם[٧٥]

النظرة بداية الوقوع في الزنا، وبداية العصيان عدم السماع

وظيفة المرأة حفظ البيت، سلامة الجسد في دقة الألفاظ

لقد ظهرت ثقافة الناجيد فيما أورده في الفقرة السابقة من حِكم ونصائح قيِّمة دون إسهاب، وبلغة بليغة، الأمر الذي يدل بوضوح على تفهمه لأمور الشريعة وحدودها، ومن ثم بدأ بالتحذير من النظر إلى المرأة الأجنبية نظرة رغبة واشتهاء، باعتبار أنها أول خطوة نحو الزنا الذي نَهَتْ عنه الشريعة في وصاياها، والدليل على ذلك استخدام الشاعر للتعبيرات التوراتية، مثل:

للمزيد يرجى مراجعة: السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج٢، ص٤٠١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٨.

[٧٣] ويحذر ابن سيرا في باب المرأة من النظر إلى المرأة؛ حيث قال:

העלם עינך מאשת חן ואל תבט ליופי זרה غض الطَّرْف عن المرأة الحسناء، ولا تنظر إلى جمال الأجنبية.

للمزيد يرجى مراجعة: בן סירא: כתובים אחרונים על פי תרגום מיוונית של יצחק זעקיל פרענקיל، פרק ט'.

[٧٤] وفي وصف الزوجة وعفتها وحفظ بيتها قال الشنفرى:

لقد أعجبتني لا سقوطًا قناعها = إذا ما مشت ولا بذات تلفُّتِ

تبيتُ – بعيد النوم – تهدي غَبُوقها = لجارتها إذا الهدية قلَّتِ

تحل بمنجاة من اللوم بيتها = إذا ما بيوتٌ بالمذمة حلَّتِ

للمزيد يرجى مراجعة: د/ شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ط١٥، ص ٧٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢.

[٧٥] ש.אברמסון: רבי שמואל הנגיד، בן משלי، עמ' 338.

נשברתי את לבם הזונה.... עיניהם הזונות كسرت قلبهم الزاني ... وعيونهم الزانية٧٦، واستخدام تعبير זנות לבב يدلُّ على عمق الاشتهاء والتمني، ونتيجة لعمق تفكيره أوضح الناجيد أن سبب التمرد والعصيان نتيجة لعدم الاستماع للنصائح والإرشادات، وبسبب أن العنيد يُصم أذنيه؛ فلا مجال عنده للفهم والانصياع، ومن ثم يقع في المحظور، وفي الشطر الثالث تحدَّث الناجيد عن الوظيفة الرئيسية الملقاة على عاتق المرأة، ألا وهي مراعاة شؤون بيتها، والمحافظة عليه، إضافة إلى الإنجاب، وتربية الأولاد، ومعاونة الزوج، وكما أن المرأة مسؤولة عن سلامة البيت فإن الفمَ والشفتين مسؤولان عن سلامة الجسد، وهو يقصد هنا أن الكلام الحسَن الطيِّب قد ينجِّي صاحبه من التهلكة، وزلات اللسان قد تؤدي إلى التهلكة، وربما ربط الناجيد بسلامة الشفتين سلامة البيت ليقدم صورة المرأة الثرثارة، كثيرة الصخب.

لقد اشتملت فقرات الناجيد على صور تعددت فيها الحِكم، وها نحن نتناول بعضها، التي حوت بين طياتها صورة المرأة، كما في الفقرة:

וּבַמֶּה יְהִי בְרַע אֱנוֹשׁ כָּל-יְמֵי הֶבְלוֹ

עֲנִיתִיו בְּאִשָּׁה בַּעֲלַת רִיב וְנִרְגָּנָה٧٧

وما السوء الذي يجعل كل أيام المرء أحزان

أجيبه: المرأة الشكاية السليطة

وفي البيت السابق يطرح الناجيد سؤالاً، جاءت إجابته صورة منفِّرة للمرأة، جاء بها الناجيد ليؤكد على صورة المرأة التي يبغضها كل رجل، بل قل: كل بشري (رجل وامرأة)، فلا شك أن كثرة الشكوى والألفاظ السليطة هي من صور المرأة البغيضة المكروهة، التي قد صورها الناجيد من قبلُ في صور مختلفة، ولكن هذه المرة يجعل منها سببًا لكل عناء بغيض ينغص على المرء حياته، وعندما سئل عن الأمر السيئ الذي ينقص حياة المرء أجاب الناجيد: إنها المرأة ذات الصفتين؛ الأولى: من اتصفت بدوام واستمرار شكواها، والثانية: من اتصفت بلسان سليط.

ويواصل الناجيد حديثه عن دور المرأة في المجتمع، وهو دور الأمومة، فيقول:

---

[٧٦] سفر حزقيال: ٦/٩.

[٧٧] ש.אברמסון: רבי שמואל הנגיד، בן משלי، עמ' 338.

سفر حزقيال: ٦/٩.



סְלַח לַבֵּן וְלָאִשָּׁה מְרִיהֶם וְשׁוּבָה עוֹד וְצַוֵּה בֵּן וְאִשָּׁה
כְּמוֹ לוֹטֵשׁ פְּנֵי חֶרֶב אֲשֶׁר הִיא בְּרוֹב הוֹלִיךְ וְרוֹב הָבֵא לְטוּשָׁה[٧٨]

اصفح عن عصيان الابن والزوجة، وانصح الابن والزوجة مرارا

مثلما تشحذ حدي السيف، فهو لا يشحذ إلا بشحذه مرارا وتكرارا

انتقل الناجيد بنا إلى مرحلة أخرى من علاقة الرجل بالمرأة، فلم يستمر في هجومه الذي بدأه من قبلُ عندما كانت المرأة بمفردها دون أولاد، فيرى الناجيد أن المرأة ما إن أصبحت أمًّا تغير وضعها مع الرجل، تلك المرأة التي كان ينصح من قبلُ بسجنها وضربها دون هوادة، ولكن مع وجود الأبناء أصبحت المرأة (أمًّا)، فنصح بالعفو وتكرارِ النصيحة دون ملل، مشبِّهًا ذلك بصقل وشحذ السيف، فكلما زاد المرء من شحذ السيف، كان أكثر صقلاً، وأكثر ملائمة وتحسينًا لوظيفته، فلا يشوبه عطب، وفي ذلك دلالة واضحة على اللِّين مع الأم والأبناء؛ حتى تستقيم الحياة، فلا مفر من معاودة النصح والوعظ للمرأة حال كونها (أمًّا)؛ فالصبر على المرأة حينئذ ليس من أجلها، ولكن من أجل الأبناء، وكذلك الوعظ للأبناء؛ فهم على شاكلة الأم، كما بين الناجيد من قبل.

هل حكمة المرأة أكثر من الرجل؟

إن الأصل عند الرجل القوامة، وتلك هي القاعدة الإنسانية، لكن قوامة الرجل لا بد أن تُبنى على الحكمة، ولكن هناك مَن لا يستحق هذه القوامة من الرجال؛ لفقدانهم لصفة الحكمة، فتنوب عنه المرأة، فيكون في ذلك مغايرة للقاعدة الإنسانية، وعن ذلك يقول الناجيد:

בְּתֵבֵל אִישׁ כְּקַשׁ נִדָּף פְּעָלָיו וְאִשָּׁה מַעֲשֶׂיהָ כַּחֲרָבוֹת
וְיֵשׁ הוֹגֶה וְהֶגְיוֹנָיו זְכָרִים וְיֵשׁ אוֹמֵר וְאִמְרוֹתָיו נְקֵבוֹת [٧٩]

في الكون رجل تذهب أعماله هباءً، وامرأة أعمالها نافذة

فهناك من تكون خواطره قوية، وهناك من يقول أقوالاً ضعيفة

في الفقرة السابقة أجرى الناجيد مقارنة بين صنف من الرجال وصنف من النساء، ويبدو أن هذه المقارنة قد قام بها الناجيد نتيجة تجرِبة وخبرة حياتية ومعرفة عن قرب، فيقول بأن هناك

---

[٧٨] ש.אברמסון: רבי שמואל הנגיד، בן משלי، עמ' 133 - 134.
[٧٩] ש.אברמסון: רבי שמואל הנגיד، בן משלי، עמ' 40.



بعض الرجال تصل بهم السفاهة إلى درجة أن أعمالهم لا يُعتد بها، ولا تؤخذ مأخذ الجِد لتفاهتها، ولعدم قيمتها وجدواها، فتذهب أدراج الرياح، وهذا الصنف من الرجال إذا عمل عملاً لا يتقنه، ومن ثَم فإن أعماله هشة ضعيفة، تتهاوى بمجرد خروجها إلى الواقع، في حين أن هناك بعضَ النساء ممن يتصفن بالحكمة والعقل الراجح وقوة الإرادة، إن أقدمن على عمل يكون عملاً متقنًا محكَمًا يتخطى كل العقبات، كما تتخطى السهامُ الحواجزَ وتصيب أهدافها؛ حيث إن المرأة العاقلة كالرامي المحنَّك في رميه لرماحه وسهامه، فإنه يصيب الهدف، واستخدام الناجيد لفظ **איש** قد يظن به كل الرجال، لكنه يقصد في الحقيقة صنفًا معيَّنًا من الرجال، فليس من المعقول أن كل الرجال يتصفون بهذا الوصف، وأيضًا ليس كل النساء حكيماتٍ[80] يصِبْن أهدافهن.

وقد تناول الناجيد في البيت الثاني الشطرة الأولى: الرجال المفكرين ذوي العقول الراجحة، فعبر عن قوة آرائهم وأفكارهم بأنها أفكار "فتية"؛ أي: قوية، وعبَّر عن آراء وأفكار البعض الآخر بأنها أفكار "أنثوية"؛ أي: ضعيفة وواهية، وربما هنا تتضح رؤية الناجيد، التي يعبر فيها عن القوة والنفوذ بالرجل، والسطحية والضعف وعدم الحكمة بالمرأة، ومن ثَم فهي لا تصلح للقيادة.

المرأة لا تصلح للقيادة:

قدم الناجيد صورة مغايرة لما جاء في العهد القديم، وخاصة قصة دبورا, وفي هذه الصورة نراه يخرج المرأة بعيدًا عن محيط الأسرة وتأثيرها المباشر في الزوج والأبناء، ويتجه إلى الوظائف العامة المؤثرة في محيط المجتمع كله، فيقول في قضية قيادة المرأة للمجتمع[81]:

לְעֵדָה לֹא תְהִי תִקְוָה וְאַחֲרִית אֲשֶׁר תִּתֵּן מְלוּכָתָהּ לְאִשָּׁה

---

[80] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا ثلاث؛ مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريدِ على سائر الطعام)).

للمزيد يرجى مراجعة: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري – صحيح مسلم – تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي – دار إحياء الكتب العربية – مطبعة الحلبي – القاهرة – ١٣٧٤ هـ طبعة أولى – ص٢٤٣١.

[81] في الفقرة(**תתצב**) أتى جامع الديوان بما يدلل على فساد الحكم إذا تعدد الحاكم حيث يقول:

סכנים ישבו יחד למשפט ולא ישבו שני מושלים בשער
כחצים נמצאו רבים באשפה וחרב מבלי שנית בתער

يجلس نواب القاضي معا للقضاء ولا يجلس اثنين من القضاة على المنصة
كالسهام تجمع كلها في كنانة والسيف لا يشاركه ثاني في غمـــــده

للمزيد يرجى مراجعة: ש.אברמסון: רבי שמואל הנגיד، בן משלי، עמ' כו.



וְסוֹף כָּל-עָם אֲשֶׁר שָׂמוּ עֲלֵיהֶם שְׁנֵי מוֹשְׁלִים לְכִלָּיוֹן וּבוּשָׁה٨٢

لا أمل ولا غاية لطائفة أعطت حكمها لامرأة

ونهاية كل شعب نصِّبن عليه حاكمين الدمار والخزي

لقد اشتملت هذه الفقرة على فكرتين هامتين، إحداهما: تتعلق بالمرأة ودورها في تقلد منصات الحكم، وأثَر ذلك على من تتولى الحكم بينهم، وربما يكون الناجيد قد تأثَّر بالفكر الإسلامي، الذي أوضح عدم صلاح المرأة لتولي مقاليد الأمور؛ فقد ورد قولُ الرسول صلى الله عليه وسلم: ((لن يفلح قومٌ أسندوا أمرهم إلى امرأة))٨٣، لما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارسَ قد ملَّكوا عليهم بنتَ كسرى، قال: ((لن يفلح قومٌ ولَّوا أمرَهم امرأة))٨٤.

والثانية: تتعلق بأثر تعدُّد الحكام، فمن الواضح أنه لا اختلاف بين أثر هاتين الفكرتين؛ فالدمار والميل عن العدل هما بمثابة العامل المشترك بين هاتين الفكرتين، وربما يعود ذلك من وجهة نظر الناجيد إلى أن الجانب العاطفي لدى المرأة، الذي يغلِب في كثير من الأحايين على الجانب العقلاني الذي لا بد أن يتصف به الحكام، مما يترك أثرًا سلبيًّا على المحكوم.

وربما كانت دعوة الناجيد التي دعا فيها إلى عدم تعدُّد الحكام مرجعها إلى عدم التخبط والبلبلة في اتخاذ القرار السليم، حيث التشاور جائز، ولكن القرار بيد قاضٍ واحد، وربما يقصد بالتعدد هنا وجود العاطفة والعقل في المرأة، وهما بلا شك يتنازعان.

---

[٨٢] ש.אברמסון: רבי שמואל הנגיד، בן משלי، עמ' 294.

* وإيماء إلى أن المفكرين اليهود كانوا يخاطبون الرجال لتقويم النساء وفي هذا قال האי גאון:

" ועם אשת / עמיתך אל / תדבר ولا تتحدث إلى امرأة صديقك .

للمزيد يرجى مراجعة: משה שטיינשניידר: מוסר השכל המיוחס לרבי האי גאון، עמ' 3.

[٨٣] ابن قتيبة: عيون الأخبار، المطابع الأميرية، القاهرة، د.ت -،جـ١،ص١

[٨٤] محمد بن اسماعيل البخاري – الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه – تحقيق: محب الدين الخطيب – المكتبة السلفية – ١٤٠٠هـ – طبعة أولى – رقم ٤٤٢٥

تأثر الناجيد بموروثه اليهودي:

إن صورة المرأة في العهد القديم وما تلاه من كتابات تفسيرية تتأرجح ما بين المناصرة والمناهضة، إرجاعه لاختلاف الرؤى للدور النسائي في المجتمع اليهودي، فلا شك أن أهمية دور المرأة في المجتمعات البشرية بشكل عام يكمن في تقديمها لأدوار بالغة الأهمية؛ فهي: أم – وأخت – وزوجة – ثم ابنة؛ ولذا فهي تمثل شق المجتمع الإنساني بجميع طوائفه وثقافاته، ولكن الموروث اليهودي لم يكن منصفًا للمرأة على الإطلاق، فكانت القصص المقرائية تغرس في نفوس اليهود ما لم تستطع أي ثقافة أخرى جاورتهم على اجتثاثه، وهذا يعني أن التأثير الإسلامي على اليهود في الأندلس كان ظاهريًّا فقط، ولم يترسخ في وجدان اليهود في الأندلس، وأجلُّ دليل على ذلك صورة المرأة عند الناجيد في كتاباته، تلك الصورة التي استعان الناجيد ببعض المصطلحات الإسلامية الدالة على الاعتدال الظاهري، ولكنه ما لبث أن عاد إلى ثقافته اليهودية وموروثه الطائفي؛ ولذا اتسمت صورة المرأة عند الناجيد بالميل الشديد إلى التعنُّت والحط من شأنها، مما يعاب عليه، ولكن هذه الصورة بلا شك كانت شائعة في المجتمع اليهودي المتدين (المتمسك بالنصوص المقرائية الجائرة على حقوق المرأة)؛ ولذلك اهتم بها المجتمع في أضيق الحدود، وأحطَّ من شأنها في كثير من الأحوال، تبعًا للأهواء المختلفة، وللأعراف والأفكار الجائرة التي حادت عن التشريع السماوي الصحيح؛ حيث الأصل فيه أن يكون بمثابة تقويم للمجتمعات الإنسانية، وخاصة المجتمعات المصابة فكريًّا التي خالفت التشريعات السماوية الصحيحة، والتي أتمها الله بالإسلام، فكان النعمة التي وهبها الله للبشر جميعًا، ولكن المكذوب من الأفكار المحسوبة على الإسلام جعل البعض يريد التحرر من التعاليم الإسلامية، والذود عن المرأة، والانتماء إلى الغرب الأكثر تحضرًا ورقيًّا تجاه المرأة.

شيوع الصورة الخاطئة وأكذوبة الذود عن المرأة:

لقد مرت على الأمة الإسلامية حِقَب تاريخية غفلت فيها عن هدي شريعتها، فانعكس ذلك سلبًا على المرأة بصفة خاصة؛ حيث خضع في هذه الحقب التعامل معها للأعراف والتقاليد، لا لنصوص الشرع وضوابطه، ونتيجة لذلك ظهرت العديد من الجهات التي انبهرت بالحضارة الغربية، فحملت لواء الدفاع عن حقوق المرأة، وكافحت تلك الجهات من أجل إنصافها؛

وذلك بتنفيذ توصيات وقرارات لمؤتمرات دولية، في حقيقة الأمر لم تساعد المرأة بفكرها الأنثوي، بل زادت من الفُرقة بين شِقَّي الأسرة.

لقد هب الفكر الأنثوي الغربي في الآونة الأخيرة يكثف من جهوده لوَضْع فلسفة اجتماعية خاصة بالمرأة، يعالج بها مشاكلها؛ حيث أخذت هذه الفلسفة في البحث والتقصي عن أسباب تدني منزلة المرأة، وتشويه صورتها في التاريخ قديمًا وحديثًا، وسيطرة الفكر والثقافة الذكورية على المجتمعات البشرية، والذي يعتقد – وفقًا للفكر النسوي – أنه تعنت من المجتمع الذكوري الذي حدد أدوار المرأة وحصرها في مفاهيم الخطيئة والغواية، مما جعلها في حالة تبعية مطلقة للرجل، وترجع أسباب هذا التدني للمرأة – حسب زعم الفكر الأنثوي – إلى الصورة السيئة التي عكستها الرسالاتُ والعقائد للمرأة[85]، ولكن الغريب في الأمر أن هذا الفكر الأنثوي قصَر هجومه على الإسلام فقط دون الرسالات الأخرى.

ومع هذا فقد تنبَّه بعض الباحثين لما يحاك من مؤامرة على المجتمع البشري، فلتمسوا الاعتدال في تقديم الصورة الصحيحة للمرأة، التي تساعد في إقامة مجتمع متكامل متماسك يصعب اختراقه، أو تمزيق مبادئه، ولم يكن هذا بالجديد؛ فالدور الرئيس للمرأة قد عرف قديمًا، حتى في العصرين اليوناني والروماني، فها هي إحدى الباحثات تؤكد ذلك في كتاباتها عن دور المرأة في صورتها الأصيلة بقولها: "إن بوسع المرء اكتشاف طبيعة المرأة المتمرسة على الاعتدال، وما عرفت به من أدوار – هذا الاعتدال – مؤدَّاه أن يقدم صورة المرأة رمزًا للفضيلة؛ حيث تأتي هذه الفضيلة نتيجة خمسة أمور:

- احترام وتقديس فراش الزوجية.

- الالتزام بالحشمة فيما يخص جسدها.

- إبداء مظاهر الاحتفاء والرعاية بأهل منزلها.

- عدم الانغماس في الطقوس والاحتفالات الدينية السرية.

[85] خالد قطب، الفكر النسوي وثنية جديدة، في: الحركة النسوية وخلخلة المجتمعات الإسلامية "المجتمع المصري أنموذجًا"، تحرير: الهيثم زعفان، الرياض، مجلة البيان، ٢٠٠٦، ص٢٥.

- أن تكون مؤمنة ورِعة تقدم القرابين لرضا الآلهة[٨٦].

وقد خلص البحث إلى:

قدم سِفر القضاة حكمة دبورا من خلال دورها الديني والسياسي، ولم يغفل دورها كزوجة رفعت من شأن زوجها.

إن التشريعات السماوية الصحيحة الواردة في الرسالات السماوية، جعلت حكمة المرأة مرتبطة بما تقدمه للرجل؛ زوجًا وولدًا.

قدم الناجيد صورة للمرأة كزوجة وأم، وعندما تعرَّض لحكمتها لم يقدِّمها في صورة أنثوية، بل صورها رجلاً.

مال الناجيد عن التشريع الإسلامي، واكتفى بذكر العرف السائد عند اليهود في تعاملهم مع المرأة.

إن التشريعات البشرية والموروثات الخاطئة إلى جانب التأويلات والفتاوى الجائرة للتشريعات السماوية جعلت من المرأة عدوًّا للرجل، وليس شريكًا له.

إن المرأة ليست الحكيمة دومًا، وكذلك ليست الحمقاء بشكل عام، وإنما هي شريك يؤدي دورًا هامًّا في حكمة الرجل من خلال تنشئته صغيرًا، ومشاركته كبيرًا، فإذا هي أهملت هذا الدور انقلب الرجلُ عليها فتصير أهون الرفاق في نظره، ومن ثم تُنعت بالنقص.

إن المرأة لا تساوي الرجل على الإطلاق؛ فلكل منهما خصالٌ وصفات يختص بها دون الآخر، تجعل كلاًّ منهما مكملاً للآخر, ولا غريب في ذلك؛ فكل كائن مهما زاد قدره أو قل شأنه، غير مساوٍ لصاحبه، وليس هذا إقلالاً للبعض ورِفعة للبعض.

إن المنظمات الحقوقية المَعنيَّة بأمر النساء قد أضرَّت بهن حين حاربت التعاليم الإسلامية، وجعلت من المرأة ندًّا للرجل وليس شريكًا له.

لم تذكر المنظمات الحقوقية الغربية والعربية مدى الإساءة التي لحقت بالمرأة على صفحات العهد القديم، وأولُ إساءة وأعظمُها: تحميلُ حواء الخطيئة الأولى للكيان البشري.

---

[٨٦] ماري إيلين ويث - تاريخ النساء الفلاسفة في العصرين اليوناني والروماني - ترجمة د/ محمود السيد مراد - مراجعة أ.د. محمد فتحي عبدالله - دار الوفاء - الإسكندرية - طبعة أولى - ص ٧٦.

المصادر:

القرآن الكريم.

المراجع باللغة العربية:

أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي: اللطائف والطب الروحاني، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٩٦٩.

أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري - الجامع لأحكام القرآن الكريم، ج١ - ص٢٥٧ - دار الريان للتراث - طبعة خاصة بتصريح من دار الشعب.

ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، تحقيق: د/شوقي ضيف، ج٢، ص١١٤، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج١، ص ١٨٩، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٦٠.

ابن خلدون: تاريخ العلامة ابن خلدون، دولة اليونان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨١.

ابن منظور: لسان العرب، ج٢، دار المعارف المصرية، القاهرة، بدون تاريخ.

أبو الحسن بن دريد: جمهرة اللغة، ج٢، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ١٣٤٥هـ.

ابن قتيبة: عيون الأخبار، المطابع الأميرية، القاهرة، د.ت.

أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون وآخرين، ط ٢، ص٩١، مطبعة. مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٧٠.

إسماعيل راجي الفاروقي - لوسي لمياء الفاروقي - أطلس الحضارة الإسلامية - ترجمة عبدالواحد لؤلؤة - المعهد العالمي للفكر الإسلامي - مكتبة العبيكان - الرياض - ١٩٩٨ - الطبعة الأولى.

الفيروز آبادي - القاموس المحيط - ج٤ - ص٣٢١ - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

الإمام محيي الدين أبو الفيض الزبيدي: شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ.



الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي: رياض الصالحين، ص١٤٠، القاهرة، ١٩٦٥.

السيد أحمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، ج٢، ص٤٠١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٨.

جان آمل ريك – مركز المرأة في قانون حمورابي وفي القانون الموسوي – تعريب الأستاذ سليم العقاد – المطبعة المصرية إلياس أنطون إلياس – مصر – ١٩٢٦.

خالد قطب، الفكر النسوي وثنية جديدة، في: الحركة النسوية وخلخلة المجتمعات الإسلامية "المجتمع المصري أنموذجًا"، تحرير: الهيثم زعفان، الرياض، مجلة البيان، ٢٠٠٦.

سيد بن حسين العفاني – شذا الرياحين من سيرة واستشهاد الشيخ أحمد ياسين – مكتبة الوفاق – غزة – ٢٠٠٤.

شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ط١٥، ص ٧٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢.

عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي – الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير – دار الكتب العلمية – بيروت – بدون تاريخ.

عبدالوهاب عبدالسلام طويلة – توراة اليهود والإمام ابن حزم الأندلسي – دار القلم – دمشق – بدون تاريخ.

علي عبدالعظيم – ديوان ابن زيدون، ص ١٩١، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٥.

عمر سليمان الأشقر – الرسل والرسالات – دار النفائس – الكويت ط٤ – ١٩٨٩.

محمد علي – الأقوال الجلية في بطلان كتب اليهودية والنصرانية – مطبعة المنار بمصر – الطبعة الأولى – بدون تاريخ.

محمد عبدالرحمن السخاوي – المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة – تحقيق محمد عثمان الخشت – دار الكتاب العربي – ١٤١٤هـ.

محمد بن إسماعيل البخاري – الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه – تحقيق: محب الدين الخطيب – المكتبة السلفية – ١٤٠٠هـ – طبعة أولى.

مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري – صحيح مسلم – تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي – دار إحياء الكتب العربية – مطبعة الحلبي – القاهرة – ١٣٧٤ هـ طبعة أولى.

ماري إيلين ويث - تاريخ النساء الفلاسفة في العصرين اليوناني والروماني - ترجمة د/ محمود السيد مراد - مراجعة أ.د. محمد فتحي عبدالله - دار الوفاء - الإسكندرية - طبعة أولى.

يسري محمد سلامة: الحكمة في شعر المتنبي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.



المصادر باللغة العبرية:

- תנ"ך

المراجع باللغة العبرية

אוצר ישראל: אנציקלופדיה, חלק שביעי, מהדורה שלישית, לונדון, 1935

אברהם אבן עזרא: פירוש משלי, הוציאו לאור שמואל רולם דריבר, נדפס מחודש על יד הוצאת מקור ירושלים, תשל"ב.

אברהם אבן שושן: המלון העברי המרכז, הוצאת קרית ספר, בע"מ, ירושלים, מהדורה מרוחבת, תשמ"ח.

אברהם שרוני: המלון המקיף, כרך 2, הוצאת משרד הביטחון, מפעלי דפוס פלאי בע"מ גבעתיים 1987,

און זית – העם הישראלי – הוצאת ראם – ישראל – 1991

און זית –העם השראלי התרבות האבודה – הוצאה ראם – ישראל – 2011

אלישע קימרון – פרקים בתולדות הלשון העברית – האוניברסיטה הפתוחה – הדפסה דיגיטלית יונאר 2004

בן סירא: כתובים אחרונים על פי תרגום מיוונית של יצחק זעקיל פרענקיל, פרק ט'ווארשה, 1885

דוד שגיב: מלון עברי – ערבי לשפה העברית בת-זמננו, כרך ראשון, הוצאת שוקן ירושלים, 1990

זאב ויסמן – מבוא למקרא – ספרות התורה יחיט – כרך ג" – האוניברסיטה הפתוחה – ישראל

חגי ארלין ואחרים – אתיופיה נצרות אסלאם יהדות – האוניברסיטה הפתוחה – תל אביב 2003

חיים שירמן: השירה העברית בספרד ובפרובאנס. הוצאת מוסד ביאליק, מהדורה שניה, ירושלים, דביר, תל-אביב, תשט"ו, הדפסה השלישית

יוסף גיגר ואחרים – קובץ מאמרים ליובילו של ישראל שצמן – האוניברסיטה הפתוחה – תל אביב

יוסף שכטר – אוצר התלמוד מהדורה שלישית מורחבת – דביר הוצאת לאור – בע"מ – נדפס בישראל

ישראל צינברג: תולדות ספרות ישראל, כרך א', הוצאת יוסף שרברק בע"מ, תל-אביב.

יוסף שה-לבן:שמואל הנגיד,הערות והנחיות ללימוד ולקריאה,הוצאת אור – עם, תשמ"ב

יוסף דו – הלב והמעיין – מבחר חוויות מיסטיות חזיוניות וחלומות מן העת העתיקה עד ימינו – אוניברסיטת בן גוריון בנגב – מפעלי דפוס כתר – ירושלים 2005

ישראל לוין: שמואל הנגיד חייו ושירתו, הדפסה השניה, עמ'38, הוצאת הקיבוץ המאוחד, ירושלים,1973

מ. צ. סגל – מבוא המקרא – ספר ראשון – הוצאת קרית ספר בע"מ ירושלים.הדפסה תשיעית

מיכאל ליטמן – פותחים את הזוהר – נדפס בישראל – 2010

משה שטיינשניידר: מוסר השכל המיוחס לרבי האי גאון, ברלין, 1860.

משה גרסיאל- ראשית המלוכה בישראל – האוניברסיטה הפתוחה – תל אביב – 2008-מהדורה שנייה

נתנאל חיים פאפע – ספר מגלת אסתיר עם באור. דבר ישועה- נדפס בירושלים – בשנת תרנ"ב



נדב שרגאי – הר המריבה המאבק על הר הבית – הוצאה לאור כתר בע"מ – ירושלים – 1995

ספר שופטים עם רש" ועם פירוש דעת סופרים – מאת הרב חיים דב רבינוביץ – בהוצאת ספרייתי תל אביב – ירושלים תש"ט

ציפי גון גרוס – הורים מתגייסים – כתר הוצאה לאור –2003

צבי הירש עד עלמאן – יהודה הכונה ליב דוקעס – גנזי אקספרד [ספר כולל פיוטים ושירים יקרים ממשוררי ספרד הקדמונים – לונדון – שנת תר"י לפ"ק

קתרין קלמון – המסע של תיאו אודסאה בין דתות ואמנות – לוחות והדפסה במפעלי זמורה – ביתן – תל אביב 2000

שוין הנשים מנוקדת ההלכה – מאת הרב יעקב לוינסון – דפוס אמנות – ניו יורק– שנת תר"ף

ש.אברמסון: בן משלי לרבי שמואל הנגיד، הוצאת מחברות לספרות، תל – אביב، תש"ח، בסיוע מוסד הרב קוק.

שמואל לאנייאדו – כלי יקר. פירוש נביאים ראשונים – יוצא לאור ע"י עזרא בצרי שליט"א – אב"ד ירושלים ת"ו

שלומית אליצור – שירת החול העברית בספרד המוסלמית – כרך שני – – האוניברסיטה הפתוחה – תל אביב 2004

